روايات مصرية

الحب والرعب 8

Looloo
www.looloolibrary.com

حب مستحيل

سالى عادل

عن الحب والرعب ..

كنت أود أن أقول :

من قال إن الحب ليس مرعبًا ؟ أنت فتى كبير ومسئول ، فهل تستطيع رعاية من تحب ؟! هل تستطيع أن تنقذ فتاتك من الأوغاد واللصوص وقطّاع الطرق ؟! هل تستطيع أن تجنّبها السيارات المسرعة والأمراض والكوارث ؟! هل تستطيع أن تحميها حتى من نفسك ؟! أنت تنظر للباكين من فراق أحبائهم وترتجف خوفًا أن تهجرك ، أنت حتى لا تفكّر أن ثمة اختراعًا يسمى (موتًا) يتسبب فى فراق الأحباء ! هل تخاف أن تتركك وتموت ، هاه ؟! إذًا ، كيف يكون شعورك .. لو تركت الموت ، وعادت إليك ؟!!

فقط ، كنتُ أتساءل .

Looloo
www.looloolibrary.com

عن لعنة (ليلى برهان) ..

استمع لى ، أنت تهمنى ، لو لم تكن تهمنى ما كنتُ لأنصحك : ابتعد عن (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) لا تملك روحًا مثلنا ، إن لها نصف روح فقط ، والنصف الآخر حمله وفرّ به من يدعى (سامى عزيز) .

(ليلى برهان) لا تملك عمرًا مثلنا ، إن لها ربع قرن أخذته كاملاً وأنكرته ، ربع قرن لا تفعل شيئًا سوى اتساع العينين وسقوط الفك مع الارتجاف ، ثم الجلوس لأقرب مقعد تحكى لأول عابر عمّا أصابها ، ولا تنسى أن تخبره أنها لم تأخذ شيئًا من العمر ، ويمكنها أن تصوّب عينيها الكاذبتين إلى عينيك لمدى ما شئت دون أن تطرُف ؛ تقول : إنها تريد عمرها .

(ليلى برهان) لا تملك اسمًا مثلنا ، إن اسمها ميراث من الماضى والحاضر سيحنى ظهرك ، ومتاهة من كتب النثر والشّعر ستدير رأسك ، وأنشودة من أناشيد الحب والرعب سترجف بدنك ، ترعد عظامك ، تذيب أعصابك ، تجمّد دماءك ، تزيغ بصرك ، تشيب شعرك ، تخبّط أسنانك ، تفكك ركبك ، تنحل وبرك ، تقصف عمرك ، فتحلى بالحكمة وانفد بجلدك من (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) ــ أغلب الوقت ــ شعرها قصير ، يشاهدونه فى أوقات طويلاً . عينها سوداء ، تبدو فى مرات خضراء . وزنها مثالى ومع هذا تتبع حمية ؛ لأن الميزان يخبرها عن ضعف وزنها .

(ليلى برهان) ــ أغلب الظن ــ تعمل نادلة ، إنهم يشاهدونها تدخل وتخرج من مطعم غريب تحوم حوله القطط السوداء : ورديات عمل مسائية ، زبائن غرباء الأطوار ، وتقطيبة دائمة على جبينها ــ كما التعويذة ــ تطرد الأرواح الشريرة ، ومع هذا تجذبك أنت ؛ لأن روحك ليست شريرة ، وعودك الأخضر سينثنى على يديها حتى تسمع الطقطقة ، فتشبث بجبل يعصمك منها واركض إلى أبعد ما يمكنك عن (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) ــ أغلب العمر ــ تجلس وحيدة ؛ ولذلك لا أفهم بالضبط سبب ضحكها فجأة ثم تكويرها قبضتها لتدفع بها فى كتف خفى ، لا أعرف سر توقفها فى الطريق لتحية من لم يوجد ، أو مغزى ردها على الهاتف حين لا يرن .

استمع لى ، لا تستمع إلى (ليلى برهان) !

ستندهك كما النداهة وستنجذب لها كما المجذوب . ستركض أميالاً خلف كلمة من شفاهها حين تنطق ، وستدمن حميميتها حين تنصت إليك بوجل ، وتجيب أحزانك بهمهمة لا أكثر لكن فيها كل المواساة ، وحين تصمت أنت ، سترفع إليك طرف عينها هامسة : « وماذا بعد ؟ » ، وستجد أنك

Looloo www.looloolibrary.com

تسترسل فى الحكى حتى لتفتح قدس أقداسك ، وتفصح عن سر أسرارك دون أن تعى ، ثم تسكب فوقه روحك فى فنجان وتقدمه لها . ثم أخبرنى بعدها كيف ستعيش من دون روح .

ستحبها ، ولن تقدر أن تخبرها أنك تحبها ، ستكتفى منها بتربيت كتف الأصدقاء ، ستكتفى أن تلمح قلقها عليك إذا ما سعلتَ وركضها لتجلب كوبًا من الماء والدواء ، تكتفى أن تحدّثها عن صديقك الذى يحب من طرف واحد ، وتحدّثك هى عن أحبّائها الجدد الذين لستَ أحدهم . وفى اللحظة التى تقرر بها أن تتغلب على مخاوفك وتصارحها بحبك ستتراجع سنتيمترات للوراء ، ترسم الدهشة على وجهها حين تخبرك فيما يشبه الحرج : « ولكنى حكيت لك عن حبيبى الجديد » .

وستعرف أنت أن حبيبها الجديد هو غريمك القديم ، هو عدوّك الأوحد ، هو من يدعى (سامى عزيز) ، وأنّ كل حبيب غيره يأتيها حاملاً حياته على كفّه ، فتنتقى منها بعض الدفء ، بعض السعادة ، بعض الصبر على فراق (سامى عزيز) ، ثم ترد إليه كفّه . وأنت مسكين يا أنت . أنت اسمٌ على قائمة أطول من الليالى السوداء التى تنتظرك فى عشق (ليلى برهان) .

ستعلم ــ متأخرًا ــ أننى صدقتُ حين أخبرتك أن (ليلى برهان) ملكة الاحتمالات وسيدة التناقضات وبطلة الحكايات غير المكتملة ، إنها حنونة وقاسية ، وأنها قد تحبك ، وقد لا تأبه بك على الإطلاق ، ستعرف أنها ناعمة

كالثعابين ، ودمعتها قريبة كالتماسيح ، وقليلة الحيلة كما الـ (أنثى) ، أقول لك : أ ــ ن ــ ث ــ ى ، وأنت تعرف كم عظيم كيدهن !

ولن تعرف ، لا أحد يعرف لماذا تستخدم تلك البرئية أناملها الصغيرة لتكتب الرعب دونًا عن الأنواع الأخرى ، لا أحد يفهم لماذا تستخدم صوتها الرقيق لتقرأه على نفسها قبل الآخرين ، ولا أحد يلمح التماع عينها باللذة حين ترتجف خوفًا من حرف كتبته بنفسها .

انتبه لى ..

أنا هنا فى الظلام أتكبد نصيحتك ، وأنت تسعى بإصرار لأن تصيبك لعنة (ليلى برهان) ، ألم تحاول أن تسأل نفسك :

لماذا تترك (ليلى برهان) العمل فى مجال دراستها كصحفية واعدة وتفضّل أن تعمل نادلة فى ذاك المطعم المريب ؟!

لماذا تترك البشر على الأرض وتصادق شبحًا على الإنترنت تناديه (فانتوم) وتبث إليه حكاياتها عن عوالم لا أدرى كنهها ، وشخصيات ليست على ما يُرام ؟

لماذا تتزوج بواحد فى حين تهيم بآخر ، ثم يظل بقلبها متسع لـ (عاصم) و(نائل) و(إيهاب) و(فريد) و ...؟ أخشى أن أنسى أحدهم !

Looloo
www.looloolibrary.com

ولماذا بعد كل هذا ، تظل تأمل أنت ــ فى أسعد أحلامك ــ بأن تصير أحدهم ؟!

ألم يخطـر ببالك مـرّة أن تسـأل تلـك الأرمـلة الحزينـة المسـماة (ليلى برهان) :

كيف صارت أرملة بعد زواجها بهذه السرعة ؟ وأين ذهب الطفل الذى كانت تحمله ببطنها ؟!

لم يعد هناك وقت ، استجب لى ، لا تقترب من (ليلى برهان) ، لا تعبر بشارع عبرت به (ليلى برهان) ، لا تبحث فى ذاكرتك ، لا ترسم فى مخيلتك ، ولا تردد فى خاطرك جملة تحمل اسم حبيبتى (ليلى برهان) .

بإخلاص ..

أحدهـم .

« تـاج لايـن »

حتى وإن كان حبًّا

مسـتحيلاً ، يكفيـك

شـرف المحـاولـة

Looloo
www.looloolibrary.com

مقدمة

(أيها القادم ترفّق ؛ سُلّمة الحاضر نخرة ، تُسقِطك إلى المستقبل ، وليت المستقبل أفضل ! فتمهل) .

يتساءل (فانتوم) :

« أخبرينى يا (ليلى) .. هل تؤمنين بوجود حب حقيقى بهذا العالم ؟ »

أجيبه :

« فى هذا العالم لا أجزم ، لكنى أجزم بوجوده فى عالم آخر . »

* * *

1

لحظة رائعة جدًّا

ينسال فوقى ذلك السائل الشفاف ، سأحظى بلحظة استحمام رائعة ، سأنسى كل ما كان من يومى وأمسى وتاريخى كله ، سأنسى عالمى وكونى وأنسى حتى نفسى من أجل لحظة استرخاء رائعة ، ولكن ، ألا يمكن أن أنعم بالاستحمام دون أن تزحف تلك القطرات كالحشرات فوقى ؟ أدفع قطرات الماء عن رأسى ، لماذا تتساقط بهذه الكثافة ؟!

ينفتح الباب فجأة ، أستر جسدى بيدى بحركة تلقائية فيما أصيح بالمرأة التى اندفعت للداخل :

« ما هذا أيتها المرأة الوقحة ! »

لا تعيرنى اهتمامًا ، تنظر إلى الماء المتساقط وتشهق ، أعيد على سمعها :

« كيف تسمحين لنفسك بالدخول علىّ هكذا ؟! »

تمد يدها إلى بطنى ، تصيبنى قشعريرة تكهرب جسدى ، تخترقنى إلى صنبور المياه فتغلقه ، تصعقنى القشعريرة من جديد فيما تسحب يدها ، أنظر فى ذهول إلى جسدى ، إن لى ذات لون ذاك السائل الشفاف !

تلتفت مغادرة ، لكنها تتوقف ، ترجع فتعيد إغلاق الصنبور بإحكام .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

« أنتِ ..

يا ... أنتِ ! »

تخطو فى صمت للخارج ، أضع المنشفة حول خصرى وأتبعها ، تتخذ مقعدًا أمام حاسبها ، تضيّق عينيها وتحدّق فى الشاشة ، أتهاوى فوق مقعد : هذا البيت لا يشبه بيتى ، وهذه المرأة لا تشبه زوجتى ، هذا لو أننى أنا .

هذا يتطلب أن أتذكر أولاً : من أنا ؟

أمسك رأسى بكلتا يدى : ما الذى يحدث لى ؟ إننى بالفعل نسيتُ نفسى ، ودون أن أحظَ بلحظة استرخاء رائعة !

وهى ..

« يا أنتِ ..

من أنتِ ؟! »

لكنها تترك أسئلتى تصطدم بالجدران وتعود إلى ، فيما تظل تحدّق فى الحاسب . أميل بجذعى من خلف ظهرها لأنظر إلامَ تحدّق ، فأجدها صفحة بيضاء إلا من بضع كلمات .. فى المنتصف :

« روح شريرة جدًا »

ومن أول السطر :

« الروح الشريرة تبحث عن أبسط حق لها فى الحياة : عن جسد ، ولن تجد أفضل من جسد (لبنى) ، إنه واهن وهزيل ، ومنذ أصابها الحزن

تشعر وكأن روحها فارقتها ، فما حاجتها إلى جسد ؟ وقد فكرت ذات مرة أن تلقيه بالمهملات . »

ثم ..

لا شىء ! أكل هذا الوقت تحدّق فى هذه العبارة ؟ أهـ ... ما هذا الهراء !

يلفحها زفيرى خلف عنقها فتمد يدها تحك عنقها ، وتعاود التحديق .

يخرج قط ناعس من الحجرة ، يصوّب نظرته باتجاهى ويكشر عن أنيابه ، أبادله التحديق فى تحدٍّ ، ثم أتخلى عن الأمر فأشيح ببصرى ..

مهما يكن ، من الواضح أن هذا ليس بيتى ، وأنى غير مرحب بى هنا ، ولا أرجّح أن هذه المرأة زوجتى ، كما أنها تثير مللى ، سأبحث عن باب الشقة وأغادر ، ولكنى لن أغادر بالمنشفة ، أبحث فى غرفة النوم عن شىء يصلح ، أبحث ببطء ودون ضجيج ، فليس من داعٍ لإزعاجها. دعك من أننى لا أفهم ما تفعل ، لكنه يبدو هامًّا لها . أخطو إلى الباب ــ عمتِ مساءً أيتها الجميلة ــ لن أستدير لأنى لا أحب لحظات الوداع ــ أتلمس المقبض ــ كونى بخير واعنى بنفسك ــ تتنامى لأذنى نهنهات بكاء ، أتلفت فى فزع ، يسقط وجهها لأسفل ، وتجهش بالبكاء ، وفى لحظة أكون جوارها ، أدفع تلك القطرات السمجة عن وجهها ، لماذا تتساقط بهذه الكثافة ؟!

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

تغفو عينى ، أرى همًا ثقيلاً يهبط فوقى يردد :

« يا روحًا تخصنا ، أدّ مهمة لنا . يا روحًا تخصنا ، أدّ مهمة لنا »

أهب فزعًا ، أتلفت حولى ، أجدها محتضنةً وسادتها مغمضةً عينيها فى سلام ، أقلّدها ...

« يا روحًا تخصنا ، أدّ مهمة لنا. يا روحًا تخصنا ، تذكّر ناموسنا »

« تذكرتكم ، تذكرتُ من أنا ، مهماتكم فخر لنا ، لكن ، لكن ، بدّلوا لى هذه المهمة ، إنها ... إنها .... »

« يا روحًا تخصنا ، لا تكثر جدالنا . يا روحًا تخصنا ، فى صمتٍ اعمل لنا . »

يقذفوننى من النوم ، أصحو مرتبكًا فيما ألقى بتتمة عبارتى :

« مهمة مملة جدًا . »

* * *

2

ابتسامة متقنة جدًا

نشيطًا ، أقف أمام المرآة ، أمشط خصلات شعرى ، أضبط ياقة منامتى ، لكنى لا أثق تمامًا أنها ضُبطت ؛ لأنى لا أملك انعكاسًا فى المرآة .

تتلكأ فى الصحو حتى يغزونى الملل ، وبالنهاية تقوم فتطعم القط ، تعد فنجانًا من القهوة وتتخذ مقعدها إلى الحاسب ، أتخذ مقعدى بقربها ، تحدّق فى جمود فى ذات الصفحة التى أنشأتها ذات مرة وطالعتها إلى الأبد . أنظر إلى الساعة ، تنبئنى عقاربها عن طول لحظات الصمت القادمة ، من بعد كل المهمات المثيرة التى خضتها ينتهى بى الحال إلى مراقبة فتاة وحيدة محدقة فى جهاز أصم ، أية مهمة لغوتُ بها حتى يعاقبونى بمهمة كهذه !

لكنها ــ ويا للحدث ! ــ ترتد بكرسيها للخلف ، تلتقط إبهامها الأيسر بسبابتها اليمنى ، وسبابتها اليسرى بإبهامها الأيمن ، تبطئ فأقول ستتوقف ، ثم تسرع وتعيدها ، ومن خبرتى المتواضعة بها يمكننى أن أقول : إنها ستفعل هذا إلى الأبد . وهو ما قد يبدو لى بلا جدوى ، ولكن من يدرى ، ربما لو أنى أملك جسدًا مثلها لوجدت هذا التمرين مفيدًا لعضلات الأصابع .

تعتدل ، وتبدو من جلستها مقبلة على حدث هام ، أقترب وأميل بجذعى من خلف ظهرها لأرى أفضل ، تطوى صفحة الوورد إلى شريط المهام ، تفتح برنامج الماسنجر وتسجل الدخول مخفيةً . لماذا تسجل الدخول إن أرادت أن تبدو مخفية ؟... هذا ما لا أفهمه.

Looloo
www.looloolibrary.com

ترشف من فنجانها .. تستغرق دقيقة كاملة لتتذكر أن تنزل الفنجان عن فمها ... حين يسألوننى سأقول : إن البشر ضعيفو الذاكرة .

يرن الهاتف ، لا تتحرك ، يواصل الهاتف الرنين ، تواصل السكون. ينطلق صوتها من الهاتف : « عفوًا ، أنا غير موجودة بالمنزل الآن ، تفضل بترك رسالتك بعد سماع الصفارة » . وهو ما يجعلنى أظن بقوة أن البشر أفّاقون يحبون ادعاء الغياب ، ويميلون إلى التخفى كلما كان ذلك ممكنًا .

ينطلق صوت نسائى من الهاتف :

« لماذا لا تردين علىّ يا ابنتى ؟ إننى قلقة عليكِ جدًا . من بعد ما حدث وأنتِ لستِ على ما يرام ، وأخشى أن يحدث ما هو أسوأ .. قلب الأم لا يخطئ يا ابنتى فانتبهى لنفسك جيدًا من أجلى »

تسند رأسها إلى لوحة المفاتيح فى حين يشدو شخص يدعى فريد الأطرش « عش أنت إننى مت بعدك » ، وقد جعلنى هذا أفكر أنهم ليسوا أفاقين أو مدعين ، وإنما يعانون خللاً مرضيًا فى تمييز حضورهم عن غيابهم ، أو حياتهم عن موتهم .

والنتيجة التى خالفت توقعاتى : أنى لن أصاب بالملل فيما بعـد ؛ لأنى قد أصبتُ به بالفعل .

تقف أمام صورة زفافها المعلقة على الحائط ، ترفع عينها إلى الرجل فى الصورة . إنه أنيق ولديه ابتسامة متقنة . تنده عنها الكلمة كالآهة :

« (كا ... مل) » ثم تتفلت دمعة تمسحها بظهر كفها ، لكن الكف لا يلاحق فيض الدموع الذى انفجر ... « لماذا تركتنى يا (كامل) ؟ » ينضم الكفين على الوجه وتجهش بالبكاء .. لا أدرى سر ارتجاف قلبى لدموع هذا الهدف الممل الرقيق ! لا يمكننى تحمل هكذا إحساس ! أشحت ببصرى بعيدًا مارًا بالصورة على الحائط ... أ ... مهلاً ... لجزء من الثانية وقعت عينى على ذى الابتسامة المتقنة فى الصورة ، ألم يكن يبتسم ؟!

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

3

قهوة لذيذة جدًّا

أجلس إلى طرف الفراش أتمنى لها لحظة استرخاء رائعة ، وأنتظر خروجها .

تطل فتبدو ملائكية فى ثوبها الأخضر ، تبدو رقيقة وحالمة ومسالمة ، ثم تكتب رواية مرعبة تسمّها « روحًا شريرة جدًّا » .. فلماذا تكتب من برقتها رواية مرعبة ؟

يمكننى فى أحد التفسيرات أن أقول : ببساطة لأنها لا تكتبها .. إنها لا تفعل سوى التحديق بالصفحة وحذف كل عبارة قبل أن تتمها .

تعبر إلى الصالة وقد أعدت مزيدًا من القهوة ، تقترب من مائدة الكمبيوتر ، وتضع القدح ، وتضغط زر التشغيل .. ترى كيف يبدو طعمها ؟ تدخل إلى غرفة النوم لسبب ما ، أستغل الفرصة وأرشف من القهوة ، إنها مرّة بلا قطرة سكر ولها مذاق مقبض .. كيف يمكن أن يتناول أحدهم مثل هذا الشراب . أنظر إلى باب غرفة النوم ، لا تبدو قادمة ، هكذا فى لحظة أتجه إلى المطبخ وأذوّب قليلاً من السكر فى الفنجان ، ثم أضغط على قلبى وأتمنى أن يعجبها المذاق الجديد .

تأتى ضاممة شـالاً إلى كتفيها ، وتجلس إلى الكمبيـوتر . تفتح ذات الصفحة ، تضيّق عينيها وتكتب ببطء :

« الروح الشريرة ــ التى لا تشبه روحًا شريرة كتبها أى أحد من قبل ــ تستلقى على بطنها وتفكر : لو أن لى أن أختار من بين البشر جميعًا ، فمن يستحقنى أكثر ؟ »

ثم ترفع يديها عن لوحة المفاتيح . تقع عينها على الفنجان فتتذكره ، ترفعه إلى فمها .... ثم تنزله متعجبة قليلاً .

فترات من السكون ورشفات قليلة ، يعقبها حالة من الحماس . تطبع بسرعة :

« يقول الكاهن » : هاكِ الصفقة ! أنتِ روح بلا جسد ، وإذا أردتِ جسدًا لستِ مضطرة لإيذاء أحد ، ففى المقابر تقبع الأجساد بلا أرواح . « تتلوى الروح الشريرة فى حين ترد على الكاهن : » وإن لم آذِ أحدًا ، فكيف أكون روحًا شريرة إذًا ؟!

ترفع الفنجان إلى فمها فتكتشف أنه خالٍ . الفنجان خالٍ حتى عكارة القاع . نعم ، نعم ، لقد أعجبها المذاق الجديد !

ينتصب شعر القط ، يرتج الفنجان فى يدها بعنف . مصراعا الشرفة يصطكان . باب الشقة ينتفض . جرس الهاتف يرن . أجرى إلى ضلفتى الشرفة أوصدهما .

« عفـوًا ، أنا غير موجودة بالمنزل الآن ، تفضل بترك رسالتك بعد سماع الصفّارة . »

Looloo
www.looloolibrary.com

باب الشقة يكاد ينخلع . تلتقط القط بحضنها وتنزل تحتمى بالمائدة . تتمتم ببضع آيات ..

« يا ابنتى أجيبينى أنا قلقة قلقة . كونى حذرة يا حبيبتى »

أجرى إلى باب الشقة أدعمه بجسدى ..

« لا تخاطرى يا (ليلى) . لا تفتحى الباب للغرباء . لا تثقى بالغرباء . لا تبقى وحدك » .

الفنجان يسقط منكسرًا إلى جوارها . الدود ينتشر من الفنجان متجهًا نحوها . تصرخ فى ذعر. أترك الباب وأنقض على الدود أدوسه بحذائى قبل أن يقربها. أتقافز فوقهم جميعًا .

« وتعالى يا ابنتى امكثى معى ، ألم تكتفى من الوحدة ؟! » .

ينطلق الآذان من المكبرات فينمحى كل الضجيج. أتهاوى إلى مقعد ، الآن يمكننى أن أسأل : ما الذى يحدث بالضبط ؟!

* * *

تتهاوى إلى المقعد المجاور ، وبعينها نظرة عذاب تؤلمنى .. لو أنى تمنيتُ لها عناءً بدلاً من الاسترخاء ، لربما كانت حصلت على الراحة .

للمرة الأولى فى مهماتى العديدة أشعر بانقباض فى قلبى ، أنا لا أعرف الطريقة بعد ، ولكنى أعرف أنى هنا بانتظار الأوامر التى لن تكون فى صالحها ، ولكنى لن أستطيع ، هل أستطيع أنا إيذاءها ؟

الإجابة بالقطع : لا ، ولكن هذا لم يكن سؤالاً ، بل السؤال : هل أستطيع حمايتها ؟

الذى يفشل فى أداء مهمته يتم حرقه ، لكن الناموس لم ينبئنا بما يحدث لمن يرفض أداء مهمته ؛ لأن — فى تاريخنا — لم يجسر أحد .

تقـــوم إلى الفراش . تنضم كالجنين ، تتشبث بالغطـــاء حتى عنقها ، تغمض عينيها وتغيب فى النـــوم ... أرقبها إذ تغفـــو وأتمنى لها لحظة استرخاء رائـــ .... لا شىء! لن أتمنى شيئًا ! لقد اكتفيتُ من الأمنيات ، ولكنهم حين يسألونى سأخبرهم أن البشر ملائكة .

أخرج إلى الصالة ، أُعمِل الحاسب ، أفتح صفحة وورد جديدة وأكتب :

« سادة ناموسنا الأعظم »

لقد راقبت الهدف طوال اليوم ، ولا أعرف ما الذى يمكننى أن أخبر عنه سوى أنها حلو وحزين ومدهش .. إننى أشعر بأشياء غريبة ليس بمقدور جندى برتبتى أن يفسرها ، وإننى أجهل كل شىء عنى فى حضرتها..

مثلاً : ما الذى أشعر به حين يقع بصرها بالصدفة على موضع أنا فيه ، بالرغم من سابق علمى بأنها لا ترانى ؟ ما الذى يحدث حين تبتسم ؟ كأنها ضغطت زرًا فى جسدى يجعلنى أنتشى فرحًا ، وحين تبكى ، فإن هذا الزر يُغلَق فورًا .

وحين خلدَتْ إلى النوم ، لماذا رحتُ أرمق عينيها الغافيتين وشعرها المنسدل ؟ كان يخفى بعضًا من وجنتها فرحتُ أزيحه فى خيالى — حتى

Loolooo

أتمكن من رؤية الوجنة ، وحين بدت الوجنة وردية وشهية لم أملك إلاّ أن قبّلتها ، فى خيالى ، وتمنيتُ أن تحرسها الملائكة ، ولكن .. خبّرونى أيها السادة العظماء فأنتم أوسع علمًا بكل شىء : هل تحرس الملائكة بعضها ؟

أعرف أن هــذا ليس نمط التقارير الذى تترقبون قراءته ، ولكنه أيضًا ليس نمط الأهداف الذى اعتدتُ مراقبته. إننى أجهل كيف يمكن أن تمثل من هى مثلها خطرًا على عالمنا ، لا أقصد أية إهانة لسادة ناموسنا الأعظم ، ولكن ، هل أنتم متأكدون أنها الهدف المطلوب مراقبته ؟

آمل أن تمنحونى إجابة فى إغفاءة قريبة ..

شكرًا جزيلاً لصبركم ،

المخلص دائمًا ..

(راء سبعمائة وبضعة آلاف)

ثم أغلق الملف ، وألقى به فى المهملات ، وفى غفوة قصيرة يزورنى الهاتف :

« يا روحًا تخصنا ، كــل حــرف يصــلنا ، يا روحًا تخصــنا ، تابع الإرسال لنا » .

* * *

4

نظرة واثقة جدًا

لا أستطيع النوم ..

تتلوى فى فراشها بلا صوت فيما بدا لى كعذاب مكتوم .. ما الذى ترينه يا صغيرة ؟ تنتفض مستيقظة. تتمتم باستعاذات عددًا من المرات المتلاحقة . تتسارع أنفاسها للحظات ، ثم تعود لانتظامها إذ تذهب فى النوم .

فى الصباح ، تفتح عينيها وتمط جسدها لأقصاه ، تقفز من الفراش ، تزيح الستائر وتفتح النوافذ .. تعد البيض والنسكافيه ، وتخفق كلاً جيدًا . تستقبل يومها بنشاط وكأن ما حدث بالأمس حدث لأناس آخرين ، وأنا .. أنا الذى لم ينم قلقًا عليها !

ترتدى ملابس مختلفة للخروج ، فى ملابس البيت تبدو حميمية وقريبة ، وفى التايير الأسود تبدو متألقة وفى ذات بعد نجوم السماء . يسعدنى أنها ستخرج خارج جدران البيت الكئيبة ، ويؤسفنى أنها ستغيب عنى إذ ليس مسموح لى باتباعها خارج المنزل .

سأعد الدقائق حتى تعود .

تغلق أضواء المنزل ، تبحث عن ميدالية المفاتيح ، تمد يدها إلى مقبض الباب ، وكأنها الكهرباء تسرى فى يدها فتلقيها فى سرعة وتضعها على فكها صارخة فى ألم . أنتفض واقفًا ، يرن جرس الباب رنة مزعجة .

Looloo

ملامحها كلها منقبضة من الألم . تفتح الباب بيدها الحرّة فينكشف عن رجل ضخم ذى نظرة واثقة إلى درجة مربكة .

يلقى التحية ويسألها :

ــ هل هذا منزل (كامل نشأت) ؟

تجيب بتردد :

ــ نعم .

ــ لا بد أنكِ (ليلى) زوجته .

ــ نعم ، أنا (ليلى) .

ــ أنا صديق قديم له وعدت مؤخرًا من السفر ، هل يمكننى أن أراه ؟

يبدو عليها الحيرة :

ــ ألم تعرف بعد ؟

ــ بِمَ ؟

ــ بـــ .... وفاته .

ــ يا للأسف . يحزننى هذا .

يقولها بحيادية ، لا يبدو آسفًا أو حزينًا ، تطول لحظة صمت بينهما .. ينهيها أخيرًا :

ــ البقية فى حياتك ..

تهز رأسها وقد عاد إليها الحزن . يبادرها :

ــ هل كنتِ مغادرة ؟

ــ أجل .

ــ إلى أين ؟

ــ أشترى حاجيات للبيت .

ــ هل يمكننى توصيلك ؟ إن السيارة بالأسفل .

ــ لا داعى .. السوبر ماركت قريب ..

ــ حسنًا ....

يقولها ببطء وكأنما يحاول أن يكسب وقتًا للتفكير فى حجة أخرى :

ــ إذًا .. هل تمانعين فى تناول مشروب بالخارج ؟

يستدرك وكأنه ينفى تهمة :

ــ أرجو ألا تسيئى فهمى .. أنتِ زوجة أخ وصديق عزيز ، وأرجو أن أعرف عن أحواله فى الفترة الأخيرة .

تجيب على استحياء :

ــ أرجو أن تعذرنى ، حالتى لا تسمح ، ربما فى وقت آخر .

يبدو عليه اليأس وقد نفذت أعذاره . يستدير مغادرًا ، ثم يعود ما استداره . يلقى بورقته الأخيرة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ إذًا هل تمانعين فى زيارتى فى العيادة لألقى نظرة على أسنانك ؟

ـ هل .. هل أنت طبيب أسنان ؟

يمد لها يده ببطاقة .

ـ وعيادتى فى الشارع المجاور .

تلتقطها بتردد :

ـ وكيف عرفت أن أسنانى تؤلمنى ؟

يشير إلى يدها الملاصقة لفكها :

ـ انظرى إلى يدك لم تغادر وجنتك منذ فتحت الباب .

تقطب جبينها لحظة ، ثم تبتسم مرتبكة :

ـ آه صحيح .

ـ إذًا سترورينى الليلة ؟

ـ سأحاول ..

ـ سأنتظرك .

قالها مبتسمًا ثم منحها نظرته الواثقة إلى درجة مقرفة ، وغادر .

* * *

أغلقتْ الباب ، وقد نسيتْ أنها مغادرة تقريبًا . نظرتْ فى البطاقة .. اسمه (نجيب) شيئًا ما .. أنزلت يدها عن وجنتها وابتسمت. هل ذهب عنك ألم الأسنان الآن ؟

هذا ضيف سيئ يا بشرية صدقينى . لا يبدو من الأناس الطيبين .

تبحث فى خزانتها عن شىء ترتديه حين تقابله . أبحث فى الهاتف عن إحدى المكالمات . أعيد الرسالة الأخيرة التى تركتها أمها :

« يا ابنتى أجيبينى أنا قلقة قلقة . كونى حذرة يا حبيبتى . »

لكن لا يبدو عليها الإنصات ، وهى تراقب جسدها الملفوف فى الثوب الأسود فى المرآة .

« لا تخاطرى يا (ليلى) . لا تفتحى الباب للغرباء . لا تثقى بالغرباء . لا تبقى وحدك . »

تستمع إلى الرسالة مندهشة ، ثم تعود تنظر إلى البطاقة شاردة حتى لم أعد أعرف إن كان هذا الذى أشعر به الآن أسوأ ، أم ذاك الذى شعرتُ به فى صدرى حين رأيتهما يتباسمان !

تنظر إلى الساعة ، ها قد جهزت مبكرًا ، تستلقى على الفراش فى انتظار الموعد ، حسنًا عزيزتى ، تستحقين الآن أن أتمنى لكِ لحظة استرخاء رائعة .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

5

(من تسجيلات الأقمار الصناعية)

تدلف (ليلى) إلى عيادة د. (نجيب) . تبادرها الممرضة المبتسمة :

ــ هل أنتِ مدام (ليلى) ؟

ــ نعم .

ــ د. (نجيب) ينتظرك .

وتبسط يدها مشيرة إلى غرفة الكشف . تدب خطوات (ليلى) رويدًا إلى الباب . يستقبلها الطبيب بنظرته الواثقة إلى درجة محيرة .

ــ كنت أعرف أنكِ ستأتين .

ــ الحقيقة أن الألم فاق الحد .

ــ هل يمكننى أن ألقى نظرة ؟

تتمدد (ليلى) على كرسى الكشف . يرتدى الطبيب قفازيه وقناعه . ويضبط الإضاءة . لكنه إذ يمد يده للفحص ترتجف (ليلى) وتتحاشى يده . يبتعد مندهشًا :

ــ ما بكِ ؟

ترتبك (ليلى) :

ــ عذرًا ، ولكنى أخشى أطباء الأسنان .

تنبسط ملامحه :

ــ آه ... هكذا إذًا .. لا عليكِ ، كثير من المرضى يعانون الشىء ذاته ، حتى إن فرعًا كاملاً من الرهاب يختص بأطباء الأسنان وحدهم .

ــ لا يمكننى أن أتصور تلك الآلات البشعة بصفيرها المرعب تعمل فى فمى ..

ــ اطمئنى تمامًا ، حين تخرجين من هنا ستنسين كل شىء عن رهاب أطباء الأسنان ، أعدك بهذا فقط أغمضى عينيك واتبعى تعليماتى .

تومئ (ليلى) برأسها ، وتغمض عينيها . يقرب الطبيب الإضاءة من فمها ويقول :

ــ أخبرينى .. كيف كان (كامل) فى آخر أيامه ؟

تضمم شفتيها للتحدث ، يعاجلها :

ــ لا تتحدثى ، أردت فقط أن أشغلك بشىء ريثما أنتهى .

يطرق بأحد الأدوات على أحد الضروس :

ــ هل تشعرين بألم هنا ؟

تهز رأسها أن لا ، يغير الموضع ويطرق من جديد حتى تومئ بالإيجاب .

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ من حسن الحظ أنه تسوس بسيط لم يصل للعصب بعد .

ثم يبدل الأداة ، ويأخذ شهيقًا عميقًا ، وتلتمع عيناه .

(ليلى) كانت مغمضة لكن شيئًا أوحى لها أن تفتح عينيها الآن ، شيئًا كالذى يدفعك للاستيقاظ من النوم عندما يصل الكابوس لأبشع مأزق فيه ، أو كالذى يدفعك للارتداد بجسدك سنتيمترات للوراء فى لحظة مرور سيارة مستهترة . استطاعت (ليلى) أن ترى التماع عينيه من تلك الزاوية القريبة ، استطاعت أن تلمح الكماشة الحديدية التى يحملها بيده ، ولكنها لم ترَ ابتسامته المتراقصة من خلف القناع .

همّت (ليلى) لتعتدل ، همت لتصرخ ، أو تتفاداه ، لكنها لم تملك الوقت الكافى لتفعل ، كما أن عنصر المفاجأة أربكها. وكانت اللفظة الوحيدة التى استطاعت أن تتفوه بها : « مخدر » !

فى لحظة انفجرت ماسورة الدماء فى فمها ، وفاق الألم طاقتها على الاحتمال ، فأغشى عليها .

فتحت عينيها على عينيه القلقتين :

ــ هل أنتِ بخير ؟

أدرات رأسها بين الأجهزة الطبية والمعاطف البيضاء .. احتاجت لحظات لتـدرك أن ما حدث قـد حـدث ، وأن ما تشعر به الآن هـو ما يسمى : « ألمًا » .. تنتفض واقفة وتصرخ :

ــ ماذا فعلت ؟

يقف لوقوفها ، يبدو بريئًا مخلصًا حين يقول :

ــ كنت أعالجك ... لقد أزلت الضرس الذى يؤلمك .

تبسط يديها فى دهشة :

ــ أزلته دون مخدر ؟

ــ أنا وعدتك أن أعالجك من رهاب أطباء الأسنان ، وهذا العلاج لا يكون إلا بمواجهة الألم .

تتجمد (ليلى) فى حالة من الدهشة تمنعها من الاعتراض أو حتى الاستيعاب . يزفر فى أسى ، ويجذبها من يدها برفق للجلوس :

ــ (ليلى) ، أنا أعرف أنى لم أركِ إلا بالأمس ، ولكنى حين رأيتك شعرت بالمسئولية تجاهك . وجدت أمامى امرأة قد نال منها الحزن والوحدة .. وأنا لا أريدك هكذا ، أريدك قوية وبخير ، أريدك قادرة على مواجهة مخاوفك وآلامك والتغلب عليها ، وليس الفرار منها .

ــ أى منطق هذا!

ــ ربما لن تتفهمى منطقى بسهولة ، ولكنك ستدركين كم كنتُ على حق عندما تدخلين عيادة طبيب فى المرة التالية دون أدنى خوف من أى ألم قد يقع ، لأنكِ بالفعل قد مررتِ بالأسوأ . سيفقد الألم هيبته يا (ليلى) .

ــ أنا لا يعنينى حرفًا من هذا ، أريد مسكنًا حالًا لهذا الألم الفظيع .

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لا يا (ليلى) ، أرجوكِ ألا تأخذى مسكنًا ، تعلمى أن تتعاطفى مع جسدك وتتألمين لألمه حتى يزول الألم إلى الأبد وليس بشكل مؤقت . المسكن لا يفعل شيئًا سوى خداع الجسد. أنا أقدمت على الحل الصحيح الجذرى للألم ، وكان يمكننى أن أكتفى بإزالة التسوس ، لكنى فضلت أن أزيل مصدر الألم كى لا يزورك ثانية. فلا تضيعى جهدى هباءً .

تسيل الدماء من فمها . يمد يده إليها بقطعة من القطن ، ويقول بحنان :

ــ ضعى هذه فى فمك ، ولا تشربى شيئًا ساخنًا ، واحتملى الألم هذه الليلة ، وحين يزول غدًا ستعرفين كم أنتِ امرأة قوية .

تدفع يده فى عنف ، تنتصب واقفة :

ــ أنت لست طبيبًا ، أنت مريض .

تتفل ما بفمها من قطن مدمٍ ، وتخرج كالسهم . عند أقرب صيدلية ، تبتلع حبات من المسكن. وتسير بخطوات واسعة للبيت ، تشعر فى الطريق بالدوار ، تشعر أنها موشكة على السقوط ولكنها تتابع السير بفعل القصور الذاتى . على كل حال ، لها بيت تسقط فيه .

* * *

6

رسالة عاجلة جدًّا

أنظر إلى الساعة وألتقط سبابتى اليمنى بإبهامى الأيسر ، وإبهامى الأيمن بسبابتى اليسرى وأجز على أسنانى وأتساءل :

لماذا تأخرت ؟

وأنتقل إلى سؤال آخر :

لماذا أشعر بهذا الارتجاف فى قلبى حين يخطر على بالى أنها تأخرت ؟

ثم أعود للسؤال الأول :

لماذا تأخرت ؟

يصل المفتاح فى الباب .. ببطء ، أكثر مما يستغرقه الأمر بأوقات .. أركض إلى الباب فى لحظة انفتاحه فتبدو لى فى حالة مزرية ، تتشبث بالحواف وتحاول ألا تسقط .. تجمدنى الصدمة .

أتحرر .. أسرع إليها أسند ذراعها بيدى وأحاوطها بذراعى الأخرى فيما أدفعها ببطء للداخل. لكن ذراعى تعبرها ولا تلتقطها ؛ تسقط .

أسقط جوارها على الأرض . أنظر إليها وأفكر : من يمكنه أن يحتضن الهواء ؟

تبــدو غائبة عــن الوعى .. ألمس بأناملى ملامح وجهها ... تصطبغ بالدماء : ما الذى فعله بكِ ؟

Looloo www.looloolibrary.com

أقف ، أنحنى عليها ، أعتدل ، أرتبك فى موضعى ، أركض إلى أبواب الجيران ، أطرقها طرقات متتابعة ، أضرب الأجراس بيدى ، ينفتح الباب عن جارة تضمم روبًا ، تبصرها ملقاة على الأرض فتهتف فى جزع :

ــ (ليلى) !

تقيمها وتسندها إلى الداخل وحتى فراشها ، تطرق برفق على وجنتيها فيما تشممها عطرًا ، تفتح عينيها فى وهن ، فتعاجلها الجارة :

ــ (ليلى) ، ماذا حدث لكِ ؟

تتعرف إلى ما حولها ، ثم تبدأ الحديث :

ــ لا شىء ، حادث بسيط .. شكرًا لكِ على مساعدتى .

ــ سأذهب أغلق بابى وآتى لأجلس معكِ .

ــ بل أنا صرتُ بخير ، اذهبى فاجلسى مع أولادك .

همت الجارة أن تنطق لكن (ليلى) عاجلتها :

ــ أنا أعلم مشاغلك ، وصدّقينى أنا بخير .

ــ حسنًا ، إذا احتجتِ أى شىء اطرقى بابى .

ــ بالتأكيد ، شكرًا لكِ .

تغادر الجارة ، وتهم (ليلى) أن تنهض لكنها لا تستطيع ، فتستسلم للفراش ، وتروح فى النوم كما هى بملابسها .

أخلع عنها حذائيها ، أتمدد جوارها ، أنظر إلى قطرات الدماء المتجمدة على وجهها ، قطرات العرق على جبينها والدمعات المتفلتة من زاوية العين ..

أتلمس كفها .. تصيبنى القشعريرة وليست كقشعريرة تلك المرة فى حوض الاستحمام ، وإنما هى قشعريرة رائعة تحمل الدفء والهناء والسعادة لأن مسّت يدى ذات مرة يدها .. لكن يدها ساخنة ، جبينها ملتهب ، أقوم فأستخرج بطانية ثقيلة من الدولاب فأبسطها عليها ، ثم أجلس جوارها وأتابع ضم الغطاء عليها .... ترى ، ما الذى فعله بها ؟ كيف وجد الطاقة أو القدرة على إيذاء من هى مثلها! تغرق القطرات وجهى ؟ رباه ، لماذا تتساقط بهذه الكثافة ؟!

أزيح القطرات ، وأنهض فى إصرار إلى الحاسب :

« أيها السادة العظماء »

تقريرى لليوم أنها فى خطر. إنها فى خطر ، إننى لم أستطع منعها من الخروج مع ذاك الرجل الذى آذاها ، لم أستطع حتى حمايتها من السقوط إلى الأرض ، إننى فى حاجة إلى جسد ..

أحتاج إلى جسد ... فأعيدوا إلىَّ جسدى ، أعيدوا إلىَّ جسدى » .

وأظن أنه غلبنى النوم على هذا الحال ..

« يا روحًا تخصنا ، وصلنا ما وصلنا . يا روحًا تخصنا ، ندرس احتمالاتنا » .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

7

ليلة حافلة جداً

أتلمس خصلات شعرها ، أتحسس جبينها ، أبدل قطعة القماش المبللة بالماء المثلج فوق جبينها بقطعة جديدة. تفتح عيونها بوهن ، أخفى القطعة بسرعة أسفل السرير ، تتلمس القطرات الباردة على جبينها وترفع يدها أمام وجهها فى عجب .

تعتدل فى جلستها ، تشهق فيما تقع عينها على البطانية التى تدثرها ، تدير عينها إلى جميع الاتجاهات فى الغرفة ، أعضّ على كفى فى ترقب ، تقع عينها على بالفعل ، ترتسم على وجهى ابتسامة مرتبكة ، لكنها تبتعد بنظرها ، تنخفض عينى إلى الأرض .

« أن تملك جسدًا »

أن تنظر فى عينى من أمامك بينما ينظر هو إلى عينيك فى ذات الوقت ، أليست نعمة ؟

تُمسك فكّها وتتألم ، تقوم فتبتلع بضع أقراص من المسكّن ، وتبدأ نشاطها المعتاد بصنع القهوة والجلوس إلى الحاسب ، يهدأ قلبى قليلاً ؛ تبدو بخير .

تغفل عن القهوة فلا ترشف رشفة واحدة ، فيما تطبع بحماس على لوحة المفاتيح ، أتشمم القهوة وأنتعش لرائحتها . يدق الباب فأنتفض فزعًا ،

أسرع ركضًا وأنظر من العين السحرية ، ولكنى أطمئن حين أجدها الجارة لا أكثر ، تفتح الباب وتنغمس فى حوار نسائى مع جارتها ، فأستغل الفرصة وأقوم بما أزمعتُ القيام به .

تودّع الجارة وتعود إلى الحاسب ، ترفع الفنجان إلى فمها ، يصيبنى الذعر : أبعد كل هذه الغفلة تعود فتشرب من فنجانها ؟! لا تسقط منه أية قطرة ، تنظر إلى الفنجان فى عجب ، وما ذنبى أنا ؟! وكيف كنتُ سأتنبأ أنها ستعود فتشتهيها ؟ ثم إن هذا الفنجان صغير جدًا ، لقد نفذ بعد ثالث رشفة .

تنظر إلى الفنجان وتبتسم ، لا تريحنى الابتسامة ..

تنهض تعد الغداء ، فيما أجلس أتابع المسلسل التركى ، تشوى الدجاج وتقطع البصل ، تتساقط قطرات من عينى دون أن أفهم؛ فأحداث المسلسل ليست مؤثرة إلى ذلك الحد !

تجلس إلى جوارى تتناول غداءها وتشاهد المسلسل .. أرمقها إذ ترمق الممثل التركى الوسيم وأتساءل : تُرى لو كان لى جسد ، كانت لتعجبها ملامحى ؟

تقوم إلى المطبخ ، تجهز المزيد من القهوة ، تكاد ترفعها إلى النار ولكن الكهرباء تنقطع ، تتلمس الجدران إلى الصالة بحذر فتحمل الشمعدان وتعود إلى المطبخ باحثة عن أعواد الكبريت ، تصطدم بدولاب المطبخ فتصرخ فى ألم ، تفتح العديد من الأدراج ، ولكنها الأدراج الخطأ ، تستند إلى حواف

Loolo

مائدة المطبخ تمسحها بيدها بحثًا عن الكبريت ، لا شيء ، تمسحها ثانية وثالثة فى ضيق فأسرع بوضع الكبريت فى مجال حركة يدها ، تتلمسه بأصابعها فتلتمع عينها بالدهشة فى عز العتمة .

تضيء الشمعات وتشعل الموقد وتتابع إعداد القهوة ، أتركها بالمطبخ وأتسلى بمراقبة المارة من الشرفة ، ثم أستدير فتتسع عينى إذ أرقبها تخرج من المطبخ حاملة فنجانين فوق الصينية .

تسحب كرسيًا حول مائدة السفرة ، ولكنها لا تجلس إليه ، تجلس إلى الكرسى المواجه . تضع فنجانًا أمامها ، فيما تدفع بالفنجان الآخر إلى الكرسى الفارغ . يدق قلبى بعنف : هل اكتشفتنى ؟!

أجلس إلى الكرسى المقابل . تهم أن تتحدث لكنها تصمت ، تعيد المحاولة مرة واثنتين ، وبالنهاية تقول :

ــ مرحبًا ، هل من أحد هنا ؟!

أرتبك ... تشتبك يداى ببعضهما ، تعتصر إحداهما الأخرى وتعلو ضربات قلبى ، ما الذى يُفترَض أن أفعله ؟

تعيد فى هدوء :

ــ بدا لى أن أحدًا هنا ، فهل من أحد هنا ؟!

أتنفس بعمق ، سأخبرها الآن حالاً ، فقط لأحصل على نفس عميق ، لكنها تهز رأسها فى نفى ، تقول بصوت خفيض :

ــ يا لكِ من واهمة !

أهتف بها :

ــ نعم ، هذا أنا ، أنا هنا .

أتفحص فى وجهها ، لا يبدو أنها تسمعنى ، أعيد بصوت أعلى :

ــ نعم ، نعم ، أنا هنا ، فهل تسمعيننى ؟!

تنهض إلى الشرفة ، تتسلى بمراقبة الطرقات فيما تميل رأسى للأسفل :

ــ نعم ، أنتِ واهمة ، لأن رجلاً بلا جسد لن يكون بأفضل من وهم .

وحين تعود الكهرباء ، تدلف إلى الداخل ، تحمل الفنجانين فوق الصينية ، ولكنها تتوقف أمام فنجانى الفارغ ، فترفعه إلى عينها وتبتسم :

ــ لقد أخبرتك أنك هنا .. فهل أعجبتك القهوة ؟

تحمله فوق الصينية إلى المطبخ ، فأبتسم ، وأخبط بيدى فوق الطاولة.

تتوقف ، تلتفت ، وتعيد على :

ــ أتقول أنها أعجبتك ؟

أدق من جديد فوق الطاولة .

ــ ومن أنت ؟

أبسط يدى فى حيرة .... تقول :

ــ أأنت من دثرنى ليلاً ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

أدق مرة أخرى . تومئ برأسها فيما تقول :

ــ شكرًا لك .

تستدرك :

ــ أنت لا تنوى إيذائى ، صحيح ؟

أدق بكل حماسة .

ــ هل أنت شخصٌ أعرفه ؟

أدق دقتين . تبتسم فيما تقول :

ــ إذًا ، يسعدنى التعرف إليك .

* * *

أداعب قطّها وأملّس فرائه ، حتى قطّها لطيف مثلها ، ولم يعد يبدى انزعاجًا تجاهى ، يرن جرس الباب ، تتصلب أصابعى فوق القط .

تفتح الباب فتجفل ، يطالعها ذاك الطبيب من خلف الباب ، تصيح :

ــ أنت ! ماذا تريد ؟

يتبدى الاهتمام على وجهه :

ــ أريد الاطمئنان عليكِ ، كنتِ بحالٍ سيئة أمس .

ــ لا أريد منك الاطمئنان علىّ ، ويكفى ما سببته لى ، رجاءً لا تعد لزيارتى .

تهم بإغلاق الباب ، لكنه يلتقطه بكفه بلطف :

ــ لماذا أنتِ غاضبة منى ، ما أردت إلا مساعدتك وإن لم تعجبك طريقتى .

ــ شكرًا لمحاولتك ولا أرغب فى المزيد من المحاولات .

ــ حسنًا ، اسمحى لى أن أدعوك إلى الشاى فى أى مكان ، حتى نحل سوء التفاهم هذا .

أدق دقتين . تنتبه لى ، ثم تعود فتلتفت له :

ــ أعتذر ، لن أستطيع أن أخرج معك ، أو أذهب إلى عيادتك ، أو أراك بأية صورة فى أى يوم قادم .

يبتسم فى أسى :

ــ ألهذا الحد ؟!

يميل برأسه إلى الأرض ، يرتسم العطف بعينها ، لا تكونى ساذجة يا فتاة ، لا يخدعنك بمسكنته ، أدق مرات ومرات ، يتشتت انتباهها بينى وبينه ، يرفع رأسه فيسأل :

ــ ما هذا الصوت ؟

ترتبك :

ــ إنهم .... إنهم أطفال الجيران يلعبون بالداخل .

يواجهها بنظرة استعطاف :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ إذًا ، هل تمنحينى فرصة لإزالة سوء التفاهم ، فرصة أولى وأخيرة من دقائق قليلة ، فقط لمدى ما ننتهِ من شرب الشاى ، ماذا تقولين ؟

أعلى من الطرق جدًا ، أُسرع من الدقات كثيرًا ، تتلفت بينى وبينه وبالنهاية تقول :

ـ الساعة السابعة غدًا .

وتغلق الباب مباشرة ، فألمح ابتسامته الظافرة قبل أن ينغلق .

* * *

تستند بظهرها إلى الباب وتقول بصوت خافت :

ـ يبدو مسكينًا .

ترفع رأسها وتعلى من صوتها قليلاً :

ـ أرأيت كيف ترجانى كى أمنحه فرصة ؟

أدق دقتين ، أدق دقتين أوصلهما بدقتين فتبدو كدقات متواصلة ، تهتف فيما تبسط كفيها بوجهى :

ـ اهدأ ، اهدأ ، لا بأس ، لن أذهب .

تنفلت دقة من يدى بحركة تلقائية ثم أرفع رأسى : أحقًا قالت ؟

تندس فى الفراش وترفع الغطاء إلى عنقها وتقول :

ـ عمت مساءً أيها الفتى الغامض !

أطمئن إلى نومها ثم أذهب فأرفع تقريرى للسادة :

« سادتى العظماء »

أذكركم بطلبى إليكم ، أنا لن أكلفكم جسدًا جديدًا ، كل ما أريد هو أن أستعيد جسدى ، أستحلفكم ألا تتأخروا ، أرجوكم أن تزورونى فى المنام ، أنا أنتظركم فى المنام » .

أغلق الملف ، وأترقب فى حماس ، المشكلة أنى متأهب إلى حد أنى لا أنام ... فمتى أنام ؟

وفى المنام ، يصفعنى الرد الصادم :

« يا روحًا تخصنا ، سمعنا ما سألتنا ، يا روحًا تخصنا ، ليس من خلل بسمعنا »

يفيقنى .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

8

حبيب قديم جدًّا

فى الصباح ، أقف أتأنق فى منامتى أمام المرآة ، مهما يكن من الوضع الآن ، عمّا قريب ، سيملأ هذه المنامة جسد .

يدوى رنين جرس الباب ، تصحو عابسة ، تئن فى وهن ، تبدو فى نوبة شجن أو حنين ، إنها تتناوب بين الفرح والحزن بسرعة شديدة ، قد يكون الفارق بينهما فاصلاً من نوم ، وقد يكون محض لحظة عابرة .

تفتح الباب لجامع القمامة ، إن جسده مترهل ورائحته كريهة ، آمل ألا يكون جسدى على شاكلته .

تغلق الباب وتتوقف لحظات لا تدرى ما تفعل ، أسرع بدق الباب دقة خفيفة على سبيل تحية الصباح فيما أساوى شعرى بحركة تلقائية ، لا تعيرنى انتباهًا وتقترب من صورة زفافها المعلقة على الحائط ، تتوقف أمامها لحظات ، تزفر فى أسى ثم تخطو إلى غرفة المعيشة ، أتبعها فى سكون ، لماذا لم تبادلنى التحية ؟!

أدق لها دقةً جديدة على باب الغرفة ، لا يبدو عليها الاهتمام ...

تتناول الريموت وتُعمِل التليفزيون ، يصيبنى الضيق ، أجلس جوارها على الأريكة وأمد قبضتى فأخبط الطاولة خبطتين قويتين ، ترفع رأسها بوهن :

ـ عذرًا ، ولكننى ... لا أرغب فى الحديث مع نفسى ، وقد اكتفيتُ من الحديث مع الأشباح . جِد طريقة .

أرجع بظهرى للوراء ، لم أكن أعلم أنها تستطيع أن تكون قاسية .

أتابع المسلسل التركى ، وبداخل التليفزيون ، يقوم الممثل بإعداد المائدة من أجل حبيبته ، يرتّب الأوانى ويملأ الكاسات ، ثم يشعل عود ثقاب ويضىء شمعات شمعدان ، ثم يتناول كف حبيبته يدعوها إلى المائدة .

أنظر إلى (ليلى) أجدها شاردة فى متابعتها للمسلسل ، إن هؤلاء الرجال فارعى القامة ممشوقى القوام ذوى الملامح الشرقية من الطراز الذى يروقها ، حتى الرجل فى صورة الزفاف يشبههم ولابد أن ملامحه من الطراز الفعّال بالنسبة لها .

تتناول ألبوم صور وتمعن النظر فيه ، ها هى .. ملاك فى ثوب سهرة وإلى جوارها شخص يشبه فى هيئته أولئك الرجال فى المسلسل والرجل فى صورة الزفاف كذلك ، لكنه ليس هو .

تتوالى الصور ، إنه يلبسها دبلة فى يمناها ، فيما تبدو فى الصورة مشرقة وسعيدة .. من المؤسف أن تنظر إلى وجهها الآن وتعقد مقارنة ...

تتمعن فى النظر إلى الرجل بالصورة ، تستغرقها النظرة حتى تنسال الدموع ... تشفعها بعبارة :

« لماذا لم تعد تسأل عنى يا (سامى) ؟ »

يبدو أنها كانت مخطوبة قبل زواجها ، ويبدو أنها ما زالت تكن شيئًا لخطيبها السابق ، ولكنى متصالح مع هذا ، ففور أن أحصل على جسدى ، سأنسيها كل شىء عن كل رجل آخر .

Looloo
www.looloolibrary.com

فى السابعة بالدقيقة ، يضرب (نجيب) الجرس ، فتفتح له على أهبة استعدادها ، أتبعها حتى الباب ، تحمل حقيبتها وتنطلق .

لا أجرؤ على الدق أو الاعتراض ، أشيح بوجهى وأعود للداخل؛ جِد لها البديل قبل أن تطالبها بأن تبقى معك .

أكتب إليهم :

« يا سادتى العظماء »

لماذا تأخرتم ؟

« يا سادتى العظماء »

روحكم بحاجتكم .

لم يعد الانتظار ممكنًا ، فإن الرجل السيئ لا ينتظر ، والضرر المحلّق بها لا ينتظر ، وشوقى إليها لا يحتمل الانتظار ، أسألكم أن تجيبوا طلبى ، أرجوكم أن تعيدوا إلى جسدى ، أعيدوا إلى جسدى ، لو تفضلتم . »

فأصطدم بردهم ودون أن تغفو عينى :

« يا روحًا تخصنا ، لا تثر أعصابنا ، يا روحًا تخصنا ، أوشك أن ينفذ صبرنا » .

* * *

9

(من تسجيلات الأقمار الصناعية)

يسبقها بخطوتين على السلم ، ثم يتناول أطراف أصابعها كملكة ، يقودها إلى سيارته الفاخرة ، يفتح لها الباب ويطمئن إلى جلوسها ، ثم يسرع إلى الجانب الآخر .

ـ هل تحبين الموسيقى الكلاسيكية ؟

ـ بالتأكيد .

يُعمل لها مقطوعة ما ، لا يمكنها التمييز بالضبط فليست لها أذن موسيقية ، ولكنها مع هذا تشعر بالانسجام مع الموسيقى .

يسألها :

ـ هل كان يومك جيدًا ؟

ـ لا أدرى بالضبط ، منذ وقت بعيد توقفت الأيام عن أن تترك انطباعًا ما ، هى أيام وكفى .

ـ وهذا بالضبط ما يقلقنى عليكِ ، سنتحدث عن هذا بالتفصيل .

يبدو كلاعب باليه ، كعازف كمان لو تعرف ما أعنيه ، لا يبدو كطبيب أسنان بكمامة ، وأتحداك إن كان رأى دماءً أو أسنانًا مقلوعة فى حياته .

فى الكافيه ، يمهد لها الكرسى ويجلس بمقابلها ، تبادره :

Looloo www.looloolibrary.com

ـ أنت قلت أنك وصلت للتو من الخارج .

ـ أجل .

ـ فمتى استطعت أن تجهّز العيادة ؟

ـ كان كل شيء معدًّا قبل وصولى .

ـ وهل تعرفت على (كامل) هنا أم بالخارج ؟

ـ بل هنا ، كان صديق طفولة ، ولم أره منذ كنا فى المرحلة الابتدائية .

ـ وكيف عرفت عنوان زواجه ؟

ـ تسألين أسئلة فرعية ..

ـ أجبنى .

ـ عرفته من أصدقاء مشتركين .

تقول بتحدٍ :

ـ وهل أخبروك العنوان دون أن يخبروك أنه توفى ؟

يجيب باستسلام :

ـ بل أخبرونى .

تبدو المفاجأة على وجهها ، يصمت قليلاً قبل أن يقول :

ـ ولكننى أردتُ أن آتى لرؤيتك .

ـ لرؤيتى أنا ؟

ـ نعم ، لرؤية المرأة التى استطاعت أن تأسر (كاملاً) وتقنعه بالزواج منها ، فقد كان فى حياته عمليًّا ولم يرحب مرة بفكرة الزواج أو يسع خلف فتاة مثلنا .

ـ وهل كنتم فى المرحلة الابتدائية تخططون للزواج ؟

ـ ما الذى تقصدينه ؟

ـ أقصد أن حديثك متضارب ولا يبدو عليه أى منطق ويبدو لى أنك تحاول ترقيعه بقطع مختلفة من الأقاصيص ، وما يخيفنى هـو محاولاتك المستميتة للكذب وإخفاء الحقيقة .

وتهب واقفة ، فيخفض من صوته :

ـ حسنًا ، حسنًا ، اهدئى ، اجلسى وسأخبرك الحقيقة .

تجلس ، فيقول ـ بينما يحاول أن يتلاشى النظر فى عينيها :

ـ الحقيقة أننى كنتُ أراقبك .

ـ تراقبنى ؟

ـ نعم ، من شرفة منزلى ، منذ عام اتخذت مسكنًا بالعمارة المواجهة لعمارتك ، منذ عام لا أفعل شيئًا سوى التحديق ببلكونتك .. أنتظر خروج (ليلى) لاستنشاق الهواء فى الصباح ، أنتظر خروج (ليلى) بكوب الشاى فى المساء ، أختلس النظر عبر الستائر الشفافة إلى (ليلى) التى تتمايل كنسمة هواء بين النسيم . الحقيقة أن زوجك ليس صديقى ، وبالأحرى ، كـان غريمى ، والآن ـ وبعـد وفاته ـ ألا يمكننى أن أنعم بلحظة قرب منك ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

لكن ذهنها ما زال عالقًا عند تلك الكلمة :

ـ تراقبنى ؟

لماذا تراقبنى ؟

ـ لأننى ...

يقطع إجابته ، ينتقل بسلاسة إلى موضع آخر :

ـ أنا لا أطلب منكِ شيئًا ، لا أطلب غير فرصة تمنحينى إياها لكى أساعدك ، ربما أنتِ تعرفيننى لأول مرة ، أما أنتِ لى فمعرفة قديمة يا (ليلى) ، عرفتك عن قرب ، شاهدتك عن كثب ، كل تفصيلة يومية تقومين بها ، كل مداعباتك للقط ومشاهداتك للتلفاز وقراءاتك للصحف وخروجك إلى العمل وجلوسك إلى الحاسب ومكالماتك فى الهاتف ، كل هذا تتبعته . أنا أعيش منذ عام حياتكِ أنتِ لا حياتى أنا ، ولذلك أشعر أننى أملك الحق بشكل ما فى تحسين حياتى .

ـ وكيف تحسن حياتك / أقصد حياتى ؟

ـ أنتِ تستحقين أفضل مما أنتِ عليه ، تستحقين أن تحصلى على المزيد من النجاح والمال والشهرة واهتمام الناس وصحبة البشر وكل شىء ، تستحقين أن تكونى فى منزلة أفضل ، وتملكين كل المقومات بالفعل ، كل ما ينقصك هو أن تنتبهى لما تملكينه .

ـ ما الذى تعنيه ؟

ـ أنا عشت بالفعل أغلب سنوات عمرى بـ (أمريكا) ، فهل تعرفين ما الذى تعلمته ؟

ـ ما هو ؟

ـ أن كل طفل صغير هناك يعرف هدفه ، كل شاب يحدد أهدافه ، يملك قائمة على الأقل بخمسة أهداف صغرى يسعى لتحقيقها هذا العام ، وعشرة أهداف كبرى يرغب بتحقيقها قبل أن يموت .

ـ وأنا أعرف أهدافى .

ـ أنتِ لا تملكين أية أهداف يا (ليلى) ، لو ملكتِ هدفًا لما تزوجتِ زواجًا لا ترغبينه ، لما عملتِ عملاً لا ترغبينه ، لما كان يومك ككل يوم بلا أى ملمح أو هوية .

ـ وهل أتيت لتعلّمنى أهدافى ؟

ـ بل لتعلمينها أنتِ ... اختارى يا (ليلى) ، اختارى من بين كل منح الكون عشر منح ، تأخذينها قبل أن تموتين ، واعلمى يا (ليلى) أنكِ لو صدقت فى رغبتك فى الحصول على هذه المنح ، لتضافر الكون كله لتحقيقها لك ، هذا ما يسمونه بقانون الجذب ، بقدر ما تتمنين الأشياء بقدر ما ستتمناك ، بقدر ما تسعين لها ستسعى لكِ ، وستحققينها ، وذلك ليس محض تفاؤل ، ذلك القانون ، قانون الجذب .

تلتقط حقيبتها ، وتقول بسخرية :

ـ حسنًا ، هدفى الآن أن أبتعد عنك .

Looloo
www.looloolibrary.com

تهم أن تغادر لكن عبارته تستوقفها :

ــ هل تريدين إثباتًا على صدق نظريتى ؟

ــ هل تملك واحدًا ؟

ــ أجل ، إننى أنا الإثبات ، ألا ترين أن الكون قد تضافر على تحقيق أهم أهدافى لى ؟

ــ وما هو ؟

ينظر بعمق عينيها بثبات :

ــ أنتِ . أن أجلس إليكِ دون عقبات تحول بيننا .

يبدو الرعب بعينها :

ــ هل تعنى أنك تمنيت ... .

ــ وفاة (كامل) ؟ إنك تفهميننى الآن .

ما ذاك الذى تفهمه ؟ لم تنتظر لتعرف . تهب واقفة ، وتنطلق على الفور . ولو انتظرت لما عرفت؛ إن إجاباته غامضة بأكثر من أسئلته ، إنه يتراوح بنعومة ما بين العطف والشر ، وإن الشعور الذى يغمرها فى كل مرة تراه : هو عدم الارتياح .

* * *

10

حـوار قصير جـدًا

تفتح الباب وتدلف :

ــ مرحبًا !

أخطو إلى غرفة المعيشة ، أفتح التليفزيون وأجلس . تتبع صوت التليفزيون فتخطو إلى :

ــ هل تأخرتُ عليك ؟

أقلّب المحطات حتى أستقر على المسلسل التركى ، فأريح ظهرى وأستمع . تتخذ مقعدها جوارى :

ــ يبدو أن زائرى يخاصمنى .

أعلى من صوت التلفاز .

ــ يبدو أنه يريدنى أن أصمت كذلك .

تقف فيما تقول بدلال :

ــ خسارة ، فما رغبتُ فى الحديث مثل الآن ..

تخطو ببطء للأمام وكأنما تنتظر رد فعل ما ، أكتفى بأن أُرقب ظهرها ، تلتفت عند الباب فيشرق وجهها إذ تقول :

ــ هل ترغب فى بعض القهوة ؟

أدق فورًا على الطاولة .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

تضع القهوة وتخبرنى :

ــ دقيقة سأبدل ملابسى .

أتبعها فى رفق نحو الغرفة ، لكنها تستدير عند الباب لتغلقه . فأخبطه بيدى فى يأس .

ــ قلت لك دقيقة واحدة .

تفتح الباب ، ملاك من جديد فى ثوب سماوى ، أتساءل : أى الألوان لا يليق بها ؟

تخطو فى رشاقة نحو غرفة المعيشة ، تتناول الريموت فتغلق التليفزيون فيما تقول لى :

ــ اجلس ، اجلس ، فإننى اليوم راغبة فى أن أعرف كل شىء عنك ، وسأخبرك الكثير أيضًا .

أجلس إلى حيث تشير ، تقول :

ــ لنبدأ بالاسم ، هل تستطيع الكتابة ؟

أدق دقة على الطاولة ، فتتناول قلمًا وأوراقًا من فوق المائدة ، وتدفعها إلى حيث تظن أننى هناك .. أتردد لحظة ، ثم أكتب :

ــ اسمى مضحك بالنسبة لكم ..

تنظر إلى الأوراق بتمعن ، ثم تعود فتقول :

ــ لماذا لم تكتب اسمك ؟

أتناول القلم من جديد وأكتب :

ــ أنا (راء سبعمائة وبضعة آلاف) .

تتناول الورقة من يدى ، وتمعن النظر فيها ، ثم تكرمشها بيدها ، وتقول :

ــ لا يهم ! سنبحث عن طريقة أخرى .

أقوم فى سرعة إلى الصالة ، فأضغط زر تشغيل جهاز الكمبيوتر ، وبعد لحظات يعلو صوت بدء الويندوز ، فتأتى إلى حيث أنا وتقول باسمة :

ــ أأنت هنا بينما أنا لا أكف عن الثرثرة هناك ؟

أبدأ بفتح صفحة وورد جديدة وأكتب لها :

ــ هل يمكنك القراءة هنا ؟

تهتف :

ــ عظيم ! فكرة عظيمة ! اكتب لى هنا .

ــ أنا أكتب لك فهل تقرئيننى ؟

ــ لماذا لا تكتب ؟ أنا أنتظر ..

أخبط بيدى لوحة المفاتيح فى يأس . تهتف :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لا بأس ! لا بأس ... أنا سأنطق الحروف الأبجدية بالترتيب ، وحين أصل إلى أول حرف من اسمك دق لى على الطاولة ، اتفقنا ؟

بدأت فى نطق الحروف الأبجدية ، أطرق لها عند حرف الراء ، يبدأ البيت فى الاهتزاز ، تبدأ اللوحات فى السقوط ، تتكسر الأوانى ، أركض إليهـا أحاوطها بذراعىّ ، تتطـاير الشـظايا فتخترقها ، تستقر بأجـزاء متفرقة من جسدها ، وتتناثر الدماء فوق ثوبها السماوى .

يهدأ الضجيج . أنزع الشظايا عنها ، أحملها إلى الفراش ، أطهر جراحها وأضمّدها ، ثم أطبق عليها بذراعىّ ، تقول بوهن :

ــ على الأقل حصلنا على الحرف الأول ، إذًا أنت (رَ ...) .. لا بأس ، حتى نحصل على البقية سأناديك « رفيقى » ، فهل يعجبك اختيارى ؟

يمنعنى الحزن من الإجابة ، تعيد علىّ :

ــ لو يعجبك ازفر زفرة عند عنقى ، فأنا أشعر أنفاسك .

تتهدج أنفاسى بالبكاء .

* * *

« يا روحًا تخصنا ، لا تخرج عن ناموسنا ، يا روحًا تخصنا ، لا تمنحها سرنا » .

* * *

11

دعـوة بريئـة جـدًّا

تسقط رأسى فوق كتفى ، أنتبه فأعتدل فى جلستى وأصنع المزيد من القهوة ، جزيئاتها المنبهة لها مفعول عظيم ، لكنها مع الفنجان السابع تبدأ تفقد مفعولها . تنن بوهن فى فراشها ، تفتح عيونها ، تلمس جراحها وتتوجع ، تقول بصوت خافت :

ــ رفيقى ، هل أنت متيقظ ؟

أدق على مسند المقعد ، فتقول :

ــ ألم تنم بعد ؟

أدق دقة أخرى ، تسألنى :

ــ أسهرت من أجلى ؟

تلاحقنى :

ــ إذًا دورك لتنم ولأسهر أنا جوارك ، لا تقلق أنا صرت بخير .

تقوم فتتناول المسكّن وتبدأ يومها . يمكننى أن أغفو قليلاً الآن .

* * *

أفتح عيونى على جرس الهاتف ، أتتبع الصوت حتى أصل إلى الصالة :

Looloo

ـ آلــو

تستمع للحظة ثم تهتف :

ـ أهو أنتَ ثانيةً ؟ ألم أخبرك أنى لا أرغب فى الحديث إليك مجددًا ؟!

تتلفت حولها ثم تقول فى عجب :

ـ أشكرك للمجاملة ، ولكن كيف عرفت أننى أرتدى هذا الثوب ؟!

تقع عينها على الشرفة ، فتحمل الهاتف وتقترب منها ، أطل فأجد ذاك الطبيب حاملاً هاتفًا بيده ، وملوّحًا بالأخرى .

تلتفت نحو باب غرفة النوم ، ثم تخفض من صوتها وتقول :

ـ ومن قال لك أنى قد أقبل بالخروج معك مجددًا ؟!

لحظاتٌ وتعاود الحديث :

ـ لا ، أبدًا ، أنا فقط أخفض صوتى لكى لا يسمعنا أحد .

يتملكنى الغيظ ، أضرب بقبضتى الحائط ضربتين ، تنتفض وتلتفت للخلف ، تخطو فى سرعة نحو غرفة النوم قائلة :

ـ انتظر لحظة معى .

أتبعها فى سرعــة ، لكنها تدلف إلى الغــرفة وتغلق البــاب بوجهى . أسرع إلى غرفة المعيشة فأرفع السماعة وأكتم أنفاسى . ينساب إلى سمعى حوارهما :

ـ لماذا ابتعدتِ عن مجال بصرى ؟

ـ لأستطيع أن أحدثك بحريّة .

ـ أولستِ وحدك بالمنزل ؟!

ـ مَن منّا يستطيع أن يجزم بهذا يا دكتور !

ـ ولكنى أريد أن أراكِ بينما أحدثك .

ـ أخبرتك أنى لن أستطيع أن أحدثك بحريّة من الشرفة .

ـ لم أقصد الشرفة ، وإنما أجدد دعوتى للغداء بالخارج .

ـ قلت لك سابقًا : إن هذا غير ممكن .

ـ ولِمَ لا ؟

ـ لأنك ... مريب ... أنت تتصرف تصرفات مريبة لا أفهمها ، وتخفى عنى الكثير ، هناك الكثير مما لا أفهمه عنك .

ـ هذا سبب أدعى لأن تقابلينى ، على الأسوأ لن يحدث فارق ، وعلى الأفضل ستعرفين إجابة أسئلتك . فهل تقبلين ؟

ـ نعم .

ـ هل قلتِ : نعم ؟

ـ نعم ... أنت مريب ، ولكنك تجذبنى بالرغم من هذا ، وأنا تحدث لى أشياء غريبة ، ولا أريد أن أواجهها وحدى .

Looloo www.looloolibrary.com

ــ لستِ بحاجة لمبررات ، يكفى أن يتفق اثنان على اللقاء لكى يلتقيا ، ودعى المبررات لآخرين. إذًا ، ارتدى ملابسك .

ــ حسنًا .

ــ حسنًا .

ينغلق الخط .

* * *

ينفتح بابها . تخطو فى ثوب أزرق نحو باب المنزل ، من الملفت أنها لم تعد ترتدى الأسود .. تستدير فتعلى من صوتها :

ــ ســ .... أذهب إلى السوق يا رفيقى ... هل أحضر لك شيئًا من الخارج ؟!

تسارع بإغلاق الباب خلفها . نعم من فضلك ، أريد دواءً لاحتراق الصدر .

* * *

12

(من تسجيلات الأقمار الصناعية)

يلقاها عند المدخل :

ــ خشيتُ ألا تأتى .

ــ خشيتُ أن آتى .

ــ ولكنك أتيتِ .

ــ لأنى أحببتُ أن أواجه مخاوفى .

ــ ها قد تعلمتِ درس العيادة .

يبدو عليها الانتباه ، تقول فى دهشة :

ــ يبدو أننى .

يسألها بينما تنساب الموسيقى الكلاسيكية بسيارته :

ــ هل جهّزتِ القائمة ؟

ــ أية قائمة ؟

ــ الأهداف العشر .. التى ستحققينها قبل أن تموتين ..

ــ حينها أخشى إن حققتها أموت .

ــ قلتِ شيئًا عن مواجهة مخاوفك .

Looloo
www.looloolibrary.com

تنظر إليه بتفحص :

ــ كفّ عن هذا .. لا يمكنك أن تصبح مريبًا أكثر .

ــ لم أقصد . لنستمع إلى الموسيقى أفضل .

ــ أفضل .

تستند برأسها إلى نافذة السيارة. تسرح مع الموسيقى ، تصرخ صرخة مريعة ، تعتدل فتلمح شرخًا بزجاج النافذة يتسع . ترتج السيارة بعنف ، ينفلت مقود السيارة من بين يدى (نجيب) ، تتساقط عشرات القذائف من كل جانب ، ينكسر الزجاج ، تتطوح السيارة يمنة ويسرة ، يحاول (نجيب) فى يأس التحكم بالسيارة ، إيقافها ، أو خفض السرعة . تنحرف السيارة ، وبالأخير ، تصطدم بشجرة .

يميل رأس (ليلى) فاقدة الوعى ، فيلتفت إليها (نجيب) بقلق ، يحاول إفاقتها .

تفتح عيونها بصعوبة ، تلتصق رموش جفنيها بالدم ، يُخرِج منديلاً يجفف دماءها ، يتفحص جرحًا بجبهتها ، ينظر بعينيها :

ــ كيف تشعرين ؟

ــ أنا بخير .

يتابع النظر بعينيها بعمق :

ــ لا تبدين بخير .

ترتجف شفتها فى ابتسامة :

ــ لا عليك ، هذا جرح اليوم ؛ فعندى جرح لكل يوم .

يلتقط كفها الدامية ، ويتفحص جرحًا بها :

ــ ولكن عندك جرحان لليوم .

ينزل عن السيارة ، يساعدها على النزول :

ــ هل يمكنك أن تتحركى بيسر ؟

تخطو خطوتين ، تقبض وتبسط ذراعيها :

ــ أجل .

تلتفت إليه :

ــ هل تعرف ما كان هذا ؟!

ــ ليس لدى فكرة . قلتِ إنه يتكرر معك ؟

ــ نعم ، ولا أعرف السبب .

ــ هل لكِ نشاطات غريبة فى الفترة الأخيرة .

ــ على الإطلاق ، بل أنا لا أفعل شيئًا إطلاقًا منذ الصحو وحتى النوم ، أنت حتى فكّرت فى مساعدتى من أجل هذا بالذات ، وقد ابتدأت هذه الأحداث مع ...

تصمت ، تبتعد خطوات عن (نجيب) مستوحشة :

Looloo www.looloolib.com

ـ مع ماذا ؟

تقول بصوت مبحوح :

ـ مع زيارتك الأولى لى .

يشيح بوجهه إلى الناحية الأخرى :

ـ ألن تكفّى لحظة عن الارتياب بى ؟

يتركها ويذهب يتفحص السيارة ويجرّب قيادتها فتستجيب بشكل طبيعى .

يعود فيدعو (ليلى) إلى الصعود للسيارة :

ـ هلمّى ، دعينا نذهب إلى مكان هادئ نستطيع أن نفكّر فيه .

يساعدها على الصعود ، ثم يدور فيصعد من الجانب الآخر ، يميل فيفتح درج السيارة ويخرج منه بضع أدوات طبية ، يرفع بها يده إلى وجهها فترتد بحركة تلقائية للخلف ، يسألها :

ـ ما بكِ ؟ سأطبب جرحك لا أكثر ، لا تنسى أننى طبيب .

تستسلم له ، يعيد الأدوات إلى الدرج ، يزيح بقايا الزجاج عن تابلوه السيارة ، ويقود مبتعدًا .

* * *

يتخذان مقعديهما بالكافيه ، يسرع (نجيب) بإخراج ورقة وقلم من جيبه ، ويضعهما أمام (ليلى) على الطاولة :

ـ هيا ، اكتبى أهدافك .

ـ الآن ؟!

ـ نعم ، ليس من داعٍ للتأجيل ، اكتبى عشرة أهداف جادة وحقيقية تتمنين تحقيقها قبل الـ ....

تقاطعه بسماجة :

ـ أعرف ، أعرف ، قبل الموت .

تتناول القلم وتنظر لحظات للورقة الفارغة ، ثم تبدأ تسوّدها ، تكتب قليلاً ثم ترفع رأسها ، يبادرها :

ـ هل انتهيتِ ؟

ـ بل لم أتجاوز الهدف الرابع بعد ..

ـ هل ذكرتِ شيئًا عن المال ؟

يبدو عليها الاهتمام ، تمسك بالقلم وتكتب فيما تقول :

ـ وهل هذا شىء يُنسَى ؟

ـ جيّد ، هناك أيضًا المجد ، الشهرة ، السلطة ، أنا أمنحك إشارات ليس أكثر ، لكن أهدافك بالنهاية هى أهدافك أنتِ وليس أى شخص آخر .

يتملكها الحماس فتكتب وهى تقول :

ـ أعرف ، أعرف .

Looloo
www.looloolibrary.com

يؤلمها رأسها ، ترمى بالقلم وترجع رأسها للوراء ، يسألها :

ـ هل انتهيتِ ؟

ـ لا .

ـ فلِمَ توقفتِ ؟

ـ أصابنى الصداع ، فقط هى الكتابة تستنزفنى ، حتى لو أكتب محض كلمات .

ـ لا بأس ، سأطلب لكِ فنجان قهوة يزيل الصداع ، أو أمنحكِ مسكنًا ، والآن ، اكملى الكتابة .

ترفع رأسها مندهشة :

ـ ألم ترفض سابقًا أن تمنحنى مسكنًا ؟

ـ المهم أن تكملى الكتابة .

ـ أكملها غدًا ، فأنا أشعر بالتعب الشديد الآن .

يصرخ :

ـ بل الآن .

تنتفض لصرخته ، يخفض من صوته :

ـ أقصد أنه من غير الممكن أن تؤجلى أهدافك أكثر من هذا ، لقد أجلتها خمسة وعشرين عامًا كنتِ أنتِ أولى بكل يوم بها ، فما الذى

حصلتِ عليه ؟ لا شىء .. حياة اجتماعية مشتتة ، حياة عملية ضائعة ، حياة عاطفية مؤجلة ، إلى آخره . لماذا تؤجلين أعمالك دومًا ، لماذا روايتك متوقفة ، حتى كتابة عشرة أسطر تؤجلينها للغد ، اسمحى لى أن أقول لكِ إنه فى كل يوم : حياتك مؤجلة للغد ، وحين يأتى موعد موتك : ستكونين لم تحيى بعد .

ـ صدقت .

تنظر للأرض :

ـ كنتُ قد عزمتُ ألا أستجيب لك بعد صراخك بى ، ولكنك على حق .

تتناول القلم وتكتب ، تدلّك بيدها الأخرى مقدمة رأسها فى قوة ، تقول :

ـ إن الصداع ....

لكنها تقطع جملتها إذ تغمرها الفكرة ، تجرى بالقلم فوق الورقة ، وبالنهاية ، تزفر زفرة الخلاص ، تترك القلم وترجع برأسها للوراء :

ـ ها قد انتهيت .

يشرق وجه (نجيب) ، يتناول الورقة بلهفة فيما تحاول منعه لكنه يبدأ بالقراءة بصوت مرتفع :

الهدف الأول : أن أحصل على سيارة كسيارتك .

الهدف الثانى : أن أستعيد حماسى للكتابة وأتخطى حبسة الكتابة التى تلازمنى مؤخرًا .

Looloo
www.looloolibrary.com

الهدف الثالث : أمى تعسة جدًا من أجلى ، أريد لها أن تفرح فرحًا كبيرًا يعوّضها كل ذاك الحزن .

الهدف الرابع : أحصل على وظيفة دائمة مثل كل الناس .

الهدف الخامس : أحقق ثروة ضخمة ، لا أقلق بعدها على دخلى المادي.

الهدف السادس : أحقق مجدًا أدبيًّا يوازى شغفى بالكتابة .

الهدف السابع : يجب أن أخفض وزنى من ثلاثة إلى خمسة كيلوجرامات على الأقل .

الهدف الثامن : لماذا لا يتصل بى (سامى) ولا أخطر على باله حتى أن يرسل لى سلامًا ؟

الهدف التاسع : أن ألتقى كاتبى المفضّل د. (أحمد خالد توفيق) ذات مرة ، وأحظ بمشاهدته عن قرب .

الهدف العاشر : أن ... .

تسحب الورقة من يده :

ــ يكفى لهذا الحد ، ودعنى أحتفظ بالهدف العاشر لنفسى .

ــ ولِمَ ؟

ــ إنها أعمق أسرارى وقد اطلعت عليها ، فدعنى أحتفظ بسر أخير .

ــ لا بأس ، ولكنك ستخبرينى عمّا قريب .

ــ لربما .

ترفع إصبعها بوجهه :

ــ لكن حذار ، فقد تعودتُ دومًا أن تتحقق أمنياتى بشكل سلبى ، تتمنى المال فتجد أن والدك قد توفى لترث ، ثم تتمنى الوالد فتجد أنه قد خرج من قبره ليعود إليك ، تعرف أنت هذه الأشياء ، فلو كان هذا هو قانون الجذب الخاص بك فلتضحك به على غيرى .

ــ لا إطلاقًا ، ليس الأمر كما تتوقعين ، هذه متع خالصة تهبها لك الحياة إذا أخلصتِ فى طلبها والتمنى ، ولذلك .. أريدك أن تتمنى هذه الأشياء بصوت عالٍ ، أن تقولينها بثقة وإصرار وبإحساس عالٍ ، ضعى بها أحاسيسك ومشاعرك وتحمسى لها ، فكرى بها بإيجابية وإمكانية تحقق كما لو أن لكِ كل الحق لأن تحصلى عليها ، وليس محض أمنية . هكذا يمكن للكون أن يسمع صوتك ، ويمكن له أن يستجيب .

تبدو مأخوذة :

ــ هل تقول إنه من الممكن فعلاً أن تتحقق لى هذه الأمنيات ؟.

ــ ليس من الممكن ، بل من المؤكد . ألم تلحظى أن اسمه « قانونٌ » ؟ الكون يستجيب .

ــ بل الله يستجيب .

ــ لكل منا معتقداته وثقافته ، ربما بالخارج لا يملكون تلك الروحانية ، فلا يملكون تفسيرًا لتحقق الأمنيات بغير أن الكون يستجيب ، والشرط هو الثقة فى قانون الجذب .

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ الشرط هو اليقين فى أن الله مجيب .

ـ لن نختلف .. هل تشعرين بالرضا عن الأهداف التى كتبتها ؟

ـ نعم ، تمامًا . أشعر أننى قد طلبتُ كل شىء بالدنيا ، وإذا ما تحققت كل هذه الأهداف بالفعل سأكون قد اكتفيت من الدنيا ، ويمكننى حينها أن أغادرها بسلام .

ـ عظيم ، عظيم ، هل توقّعين على هذا ؟

تبدو عليها الدهشة ، تتساءل :

ـ أوقّع على ماذا ؟

لا يجيبها ، ولا يسمح لها بالتفكير ، فقط يتناول يدها يقبّلها ، لكنها تتأوه ، تسحب يدها :

ـ عفوًا ، فقد ضغطتَ على الجرح .

ـ عذرًا ، لم أنتبه ، أرينى ...

يتناول يدها من جديد ، يمعن النظر فى الجرح ، ثم يتلفت حوله فى خبث ، وفى لحظة يسرع فيمد إصبعه ينكأ به الجرح ، تسحب (ليلى) يدها صارخة :

ـ هل جننت ؟

تتساقط قطرات من دمائها فوق الورقة ، تلتمع عينه الواثقة بنظرة ظفر ، يهب واقفًا فيطوى الورقة ويضعها فى جيبه ، يترك قدرًا من المال فوق

المائدة ، يدفعها من ذراعها إلى الأمام ويسرع مغادرًا غير عابئ بنداءات النادل .

* * *

فى الطريق لا تنطق (ليلى) بكلمة . تبدو نعجة ، فى سيارة الذئب ، تتحين فرصة للفرار ، هو كذلك لا يتحدث ، يبدو متخمًا بالضأن .

يصلان فيبحث (نجيب) عن مكان يسمح بركن السيارة ، يترك كل الأماكن الممكنة ، ويركن السيارة أسفل عمارة (ليلى) بالضبط . يسحب المفاتيح وينزل ، تفتح (ليلى) الباب وتهم بالخروج ، لكنه يعيد إغلاقه بسرعة ، يقول :

ـ انتظرينى دقيقة واحدة من فضلك .

ويوصد السيارة عن بعد . تتبعه بعينها إذ يركض إلى محل هدايا قريب ، ثم يخرج وقد أمسك علبة صغيرة بقبضة يده . تراه يقترب فيما تسمع صوت صفارة جهاز التحكم ، تجرب فتح الباب فينفتح ، تغادر بسرعة فتصطدم به واقفًا أمامها وقد رفع العلبة أمام وجهها .

ـ ما هذه ؟

ـ هذه ، هى الإثبات لحسن نوايا الكون .

ـ لا أفهم .

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ستفهمين حيــن تفتحينها ، ولكن أطلب منكِ ألاّ تفتحينها إلاّ حيــن تصعدين .

يدسها فى يدها ، يتركها فى ذهولها ويهرول نحو عمارته. تتبعه (ليلى) بنظراتها ، ثم تطلق زفيرًا وتصعد .

* * *

13

اكتشاف مثير جدًا

ها قد جاءت .

تضع علبة صغيرة على مائدة السفرة وتخطو للداخل :

ــ رفيقى ... أين أنت يا رفيقى ؟

تدخل غرفة المعيشة :

ــ هل أنت هنا ؟

غرفة النوم :

ــ هل أنت نائم ؟

تجلس على الفراش :

ــ أم أنك غاضب ؟!

تقوم فتتلفت حولها :

ــ أحتاج الحديث إليك بشدة ، واغفر لى زلّتى ، ستكون الأخيرة صدّقنى ، إنه رجل مجنون ، لن ألقاه ثانية .

تصمت لحظة ، تدير عينيها فى المكان :

ــ هيّا .. دق لى دقة ، أو أضئ نور الغرفة التى أنت بها ... أو افتح التلفاز .. أية إشارة .. أية إشارة ..

Looloo www.looloolibrary.com

تستحثنى :

ــ هيّا ...

تلمع عينها ضاحكةً :

ــ إذًا هى القهوة ، سنشربها معًا ، أليس كذلك ؟

تصمت حينًا مترقبة ، أقترب من وجهها فأزيح خصلة شعر وأنظر إلى جرح بجبينها ، وثمة جرح آخر بكفّها .. تقوم إلى باب الغرفة تغلقه قائلة :

ــ إنك قاسٍ اليوم .

وتبدّل ملابسها .

لا داعى لأصف كيف تبدو فى الثوب الوردى .

* * *

تخرج إلى الصالة ، تلقى نظرة على العلبة ... ما الذى بها ؟ تتحاشاها كأنما تخشاها وتتخذ مقعدًا فى الركن ، تخفّض الإضاءة ، تعطر الجو ، تتناول قطعة شيكولاتة ... تضغط زر التسجيل وتقرّب المسجل منها :

ــ قلنا إن هناك روحًا شريرة ترغب فى الحصول على جسد ، وهذا الجسد هو جسد (لبنى) بالذات / ولماذا جسد (لبنى) ؟ / لأنها حزينة . / كل الناس حزانى!/ ولكنها حزينة إلى الحد الذى يجعلها غير راغبة فى جسدها . / ولماذا هى حزينة لهذا الحد ؟

يعجبنى أنها تسأل وترد على نفسها ، ولكنها عند السؤال الأخير قد صمتت قليلاً ، فرحت أتسلى بالتخمين ، قلت :

ــ لا بد أنها فقدت شخصًا عزيزًا ..

تعود تقرّب المسجّل من فمها :

ــ لنقل أن زوج (لبنى) قد توفى ، وأن حزنها عائدًا لفقده ، فهل يكفى هذا ؟

أحك ذقنى :

ــ أعتقد لا .. لن أشترى هذا ..

تقول :

ــ لنفترض أيضًا أن (لبنى) قد أخطأت خطأ ساعد على تحرير هذه الروح ، كــأن تشارك فى لعبــة تحضير أرواح ، أو تقرأ تعويذات غامضة أو شيئًا من هذا القبيل .. نعم ، هذا يجعل الأمور منطقية .

تتناول قطعة كبيرة من الشيكولاتة :

ــ المهم الآن ، كيف ستكون المواجهة بين هذه الروح و(لبنى) ؟ هل ستظهر لها فى شكل شبح يروح ويجىء ويثير ذعرها ؟

أهز برأسى :

ــ سيكون هذا تقليديًا .. لماذا لا تظهر كرجل عصرى من بنى جنسها يطلب ودّها ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

تقول فى سرعة :

ــ لا ، لا ، حتى الأشباح اليوم ما عادوا أشباحًا ، إنهم يبدون أكثر واقعية منّا ... ستظهر لها فى شكل بشرى مثلها .

أقول محتجًا :

ــ هذا ما قلته أنا . الحقيقة يا عزيزتى أنتِ لا تبدعين شيئًا ، وإنما تسرقين أفكارى .

تستمر قرابة الساعتين فى عصف ذهنها .. ثم تقوم فتصنع كوبًا من الشاى وتجلس إلى الحاسب ، تعيد إدارة التسجيل فتُفرغ فى صفحة جديدة ما حصلت عليه ، ويبدو أن الحماس قد أطار النوم من عينها ، أما أنا ، فلا أستطيع البقاء أكثر .. سأتمدد جوارها على الأريكة ، حتى تنتهى .

تتسلل إلى أذنى عباراتها المسجّلة :

« قلنا إن هناك روحًا شريرة ترغب فى الحصول على جسد ، وهذا الجسد هو جسد (لبنى) بالذات / ولماذا جسد (لبنى) ؟ / لأنها حزينة . / كل الناس حزانى! / ولكنها حزينة إلى الحد الذى يجعلها غير راغبة فى جسدها . / ولماذا هى حزينة لهذا الحد ؟ »

لحظة من الصمت ثم أسمع عبارة :

« لا بد أنها فقدت شخصًا عزيزًا .. »

أهب جالسًا فوق الأريكة ، هل أنا وحدى من سمع هذا ؟ لكن شهقة (ليلى) تتكفل بالإجابة ، يتتابع حديثها عبر المسجّل :

« لنقل أن زوج (لبنى) قد توفى ، وأن حزنها عائد لفقده ، فهل يكفى هذا ؟ » .

أسمع صوتى من جديد :

« أعتقد لا .. لن أشترى هذا .. »

توقف (ليلى) المسجل ، تدور حولها فى المكان ، وتصرخ :

ــ رفيقى ! هل هذا أنت ؟

تجمّدنى الصدمة للحظة ، ثم أهوى بكلتا يدى على الطاولة :

ــ أنا ، هذا أنا ..

يكتسب صوتها رنينًا سعيدًا :

ــ هذا أنت ، هذا أنت !!

أتابع الدق على الطاولة ، تغرق (ليلى) بالضحك ، ويشرق وجهها بالسعادة فيما تتقافز وتردد :

ــ حصلتُ عليك ، حصلتُ عليك .

ها قد اقتربنا من الحلم! من يمكنه النوم بعد هذا ؟!

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

14

حلم بعيد جـداً

تحمل (ليلى) المسجّل وتأتى لتجلس جوارى على الأريكة ، فى الحقيقة أنها لو تعرف موضع جلوسى بالضبط لكانت جلست جوارى ، أما والحال كذلك فقد شعرت بتلك القشعريرة اللذيذة قبل أن تنهض وتعاود الجلوس إلى جوارى ، قالت :

ــ سأسألك أسئلة فلمّا تنتهى من الإجابة دق لى دقة ، مستعد ؟

دققت لها ، عذرًا ، بل كانت دقات قلبى ، إن الإثارة فوق الاحتمال ... أعادت على :

ــ رفيقى ، هل أنت مستعد ؟

دققت على الطاولة ، ضغطت زر التسجيل وقالت :

ــ لنبدأ . كنّا توقفنا عند حرف الراء ، والآن ما هو اسمك ؟

وقد أعاد إلى سؤالها ذكرى ما حدث حين حاولتُ سابقًا إخبارها باسمى ، عاد الغم إلى وجهى ، أو كان ليكتسى بالغم لو أنى أملك وجهًا .. لم أستطع أن أتحدث .. آثرتُ الصمت ، ثم استجمعت شجاعتى وأخذتُ شهيقًا عميقًا وقلت :

ــ لا أريد لكِ المزيد من الجروح ، دعينى أستأذن سادة عالمى فى الحديث إليـكِ أولاً ، واعلمى أننى أتوق إليه بقـدر يفـوق الاحتمال ..

وسأستغل هذه الفرصة وأطلب منكِ بكل ما أستطيع أن لا تسمحى لذاك الرجل أن يقترب منكِ ، إنه رجل سيئ ، إنه ليس مصدرًا للثقة ، إنه ..

قالت :

ــ كل هذا الوقت من أجل الاسم ، لا يا رفيقى هذا لا يناسبنى ، لتعلم أننى سأطلق عليك اسمًا أقصر من هذا ، والآن هل انتهيت ؟

أدق لها عدة دقات متتالية ، تصيح :

ــ يكفى دقة واحدة .

أعود للدق دقات أخرى ، تقول :

ــ حسنًا ، هل تريد منى الاستماع إلى ما قلت ؟

أدق دقة واحدة ، فتُرجِع الشريط إلى البدء وتستمع ، ثم تهز رأسها وتقول :

ــ لو حصلتُ على وسيلة للتواصل معك ، يمكننى أن أستغنَ عن الكون .

* * *

تقـوم إلى الفراش ، أقـوم إلى الكمبيوتر ، أفتح صفحة وورد جديدة ، وأكتب :

« أيها السادة العظماء »

إننى جندى لكم قد خدمتكم على مدى سبعمائة عام »

Looloo
www.loolooLibrary.com

أنجزت لكم بضعة آلاف مهمة .

أنجزتها كلها بنجاح »

أطعتكم على الدوام »

لم أتدخل يومًا فى شأن لم يخصنى »

أو أعترض على قرار من قراراتكم »

وإنكم لأكرم من أن ترفضوا طلبَ واحدٍ من أرواحكم »

وإن كنتُ فيما سبق قد أزعجتكم بأن استعجلتكم فى إجابة طلبى بالحصول على جسدى »

فإننى أعتذر لكم »

لن أكرر استعجالكم ، ادرسوا قراراتكم ، ولكنى أرجوكم بأن تجيبونى إلى طلب صغير .

لن يكلفكم الكثير :

حوار وحيد ،

معها ؛

فقد كنتُ اليوم فى منتهى التعاسة عندما رأيتها تخرج معه .

وبت فى منتهى السعادة عندما اكتشفت طريقة التواصل معها .

وصرت أتراوح مثلها بين السعادة والتعاسة فى كل يوم .

ولكن ما يسعدنى ويتعسنى هو فقط ما يتعلق بها ..

هى وحدها سر السعادة والتعاسة وكل شىء .

هى كل شىء .

وأنتم وحدكم تملكون منحى كل شىء ..

فامنحونى موافقتكم .

وكل الشكر والإجلال لكم .

روحكم المخلصة .

(راء سبعمائة وبضعة آلاف) .

أحفظ الملف ثم ألقى به إلى سلة المهملات. أقوم إلى غرفة النوم لكن تقع عينى على العلبة فوق المائدة .. أتجه إليها فأرفع الغطاء وألقى نظرة : شىء سخيف ! ما الذى يعنيه بالضبط ؟

نائمًا يزورنى الهاتف :

« يا روحًا تخصنا ، حوار واحد لن يضرنا ، يا روحًا تخصنا ، لكن لا تفصح عننا . »

أهب قافزًا وأرقص فى منتصف الليل بغَمَص النوم ، ليس سيئًا أنها لا تستطيع أن ترانى الآن ، ليس سيئًا .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

15

ليلة دافئة جـدًا

لا أطيق الانتظار ، ولتغفر لى ، أعرف أنها ستغفر لى إيقاظها فى هذا الوقت . أحضر المسجّل وأضئ نور غرفة النوم ، وأجلس إلى طرف الفراش ، أفكّر أن أسجّل عبارة ثم أعيدها قرب أذنها ، ولكن ما الذى يمكننى أن أقول .. هل أهمس لها : « اشتقتك » ؟ هل أصارحها : « أحبك » ؟ أم فقط أقول : « أنا هنا بقربك » ؟... تلك الأشياء الرومانسية التى ستعقد لسانى وتصيبنى بالخجل بلا شك .

أعدل عن هذا كله ، أندس جوارها فى الفراش ، أحاوطها بذراعى ، أزيح خصـلات شـعرها وأتلمّس عنقها ... هـل تصيبها القشعريرة كما تصيبنى ؟

تتحسس عنقها وتهمس : « رفيقى » ، ثم تستدير وتتابع النوم ، لكن هل تعرف أنها تحتوى ذراعى أسفل ذراعها ... هل تشعر بى ؟ أريدها أن تشعر بى ...

يأتينى صوتها الناعس :

ــ لماذا لم تنم يا رفيقى ؟

أستجمع شجاعتى ، أستعيد ذراعى ، ثم أضغط زر التسجيل :

ــ لقد .. حصلتُ على الإذن .

ثم أعيده على سمعها . تهب جالسةً ، وتصرخ فى سعادة :

ــ أحقًا تقول ؟! كم هم كرماء سادة عالمك .. إننى أحبهم ، أحبهم .. وماذا تنتظر ؟ هيّا أخبرنى عنك كل شىء ... ...

آحم .. أضغط زر التسجيل :

ــ أنا .. أنا (راء سبعمائة وبضعة آلاف) ، جندى من فئة مرموقة فى مجرة بعيدة عن مجرتكم ، غير مسموح لى أن أحدّثك عن سادة عالمى أو مهمتى ، ولكن أخبرك فقط أن وظيفتى فى الحياة منذ سبعمائة عام أن أقوم بمهمات ، تتعلق بمراقبة كائنات من مختلف الأجناس والمجرات ، وأرفع تقاريرى لسادة عالمى .. يحدث الأمر فجأة ، أن أكون فى منتصف موقف من مواقف الحياة اليومية العادية ، لأجد أننى انتقلتُ إلى موقع المهمة ، ونسيتُ كل شىء عن نفسى وعن عالمى ، فقط ما عدا ما ذكرته لك للتو ، وقد حدث هذا كثيرًا جدًا ، حدث بضعة آلاف مرة ، ولكن لم يحدث مرة من قبل ، أن .... أن .... ثمة شعور ، ثمة إحساس لا أفهمه .... إنه يتعلق بـ ... بـ ... لا أدرى ... حسنًا ، لنكتفِ بهذا وأُسمعكِ ما قلته للتو .

أعيد عليها ما قلت ، تفكر لحظة ثم تقول كالمنومة :

ــ (راء سبعمائة وبضعة آلاف) ... يعجبنى اسمك !

(راء سبعمائة وبضعة آلاف) ... (راء سبعمائة وبضعة آلاف) ...

ثم تهتف فجأة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ وماذا عن ذاك الإحساس ؟!

أبتسم :

ــ لا أعرف .. إنه إحساس جميل ، أشعر به فى صدرى حين أراكِ ، أو أسمعكِ ، أو حتى أرقبكِ وأنتِ نائمة ، وفى نفس الموضع من صدرى ، يتحول الإحساس إلى ألم فظيع ، إلى حريق ، حين أراكِ تخرجين مع ذاك الرجل .

أُسمِعها ، فيرق صوتها إذ تقول :

ــ فلتسامحنى يا (راء سبعمائة وبضعة آلاف) ، كان خطأ أن قابلتُ ذاك الرجل ، ولكنك لا تعرف شيئًا عن الوحدة ، لا تتركنى يا (راء) ، ابقَ معى ، اسألهم أن تبقَ معى للأبد .

يختلج صوتى إذ أقول :

ــ لن أتركك .. لقد استأذنتهم لكى يسمحوا لى بالظهور بجسدى فى عالمكم ، وهم يفحصون طلبى الآن ... فهل تقبلين ، إذا ما حصلتُ على جسد ، أن .... أن .... تتزوجيننى ؟!

أسرع بإعادة الشريط وإسماعها إياه بسرعة قبل أن أحجم عن هذا وأمحو الرسالة . تبدو الدهشة على وجهها ، ثم تتبدل إلى الفرحة ، تميل رأسها بخجل ، فيما تقول :

ــ أعتقد ... نعم .

ألقى بالمسجل ، وأقبل عليها أضمها إلىّ ..

نتسامر طوال الليل ، ونحلم بأعين مفتوحة .... ونصف قلبى ينتشى من السعادة ، والنصف الآخر يخشى إن فقد انتباهه أن تأتيه الضربة غدرًا .

إننى صرتُ بشريًا بأكثر منكم يا (ليلى) ؛ لستُ فقط أتراوح بين السعادة والتعاسة كل لحظة ، بل وفى اللحظة الواحدة .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

16

أقدار كريمة جـدًا

بالنهاية يغلبنا النوم ، ولكنى إذ أستدير لا أشعر بها جوارى ، أنتفض .

أخرج إلى الصالة فأجدها تطبع بحماس على الحاسب ، لا تكاد أصابعها تتوقف عن الطباعة كما لو أنها تكتب دون أن تفكر ، أو أن أفكارها جاهزة جدًا. أنظر إلى الساعة ، إنها لم تنم غير ساعتين .

أصطدم بالطاولة ، فتنظر خلفها ، تتوقف للحظة وتلتفت للخلف :

ــ رفيقى ، هل صحوت ؟

أدق لها ، فتقول :

ــ هل لنا بحوار آخر ؟

أدق دقتين ، تتابع الطباعة فيما تقول :

ــ لا بأس ، عمّا قريب سنحصل على المزيد ، تعالَ اجلس جوارى .

أتخذ مقعدًا وأجلس جوارها ، لكن رأسى تسقط قليلاً بين الحين والحين ، ألا ترغب فى النوم ؟

* * *

يشرق الفجر ، ما زالت تكتب .

ينتصف النهار ، ما زالت تكتب .

وحين لا أحتمل السهر لحظة أكثر أدق لها على المائدة ، فتنتبه ، وتدير رأسها إلى :

ــ عفوًا ، سهرتك كثيرًا .. بنا لننم .

تغلق الجهاز ، وتتجه إلى الغرفة ، فتغيب فى النوم .

أقول : لن تصحو قبل المساء ، لكنها تصحو بعد ساعتين لا أكثر . تتجه مباشرة إلى الحاسب ، وتتابع الكتابة .

أتمدد قليلاً فى الفراش .. ثم أهب وراءها .. أدق لها على طاولة الحاسب ، تقول :

ــ عذرًا يا رفيقى ، أنت تعرف أن هذه الأفكار التى تتدفق إلى رأسى ستذهب عنى إن لم أسارع بتدوينها ، وأنا حقًا لستُ راغبة فى أن أفقدها .

أضىء نور المطبخ ، وقد أزمعتُ إعداد الغداء ريثما تنتهى من الكتابة ، يتصاعد صليل الأوانى فى اصطكاكها ببعضها ، يأتينى صوتها :

ــ لن ينتهى بنا الأمر نطلب ديلفرى ، هاه !

* * *

أقف فى المطبخ ، أفعل مثلما كانت تفعل ، ما كانت تفعل !!

Looloo www.looloobooks.com

أغســل الخضار ، أعصر الطماطم ، أقطّع البصــل ... إننى مدهش ، مدهش !

تحرقنى عينى ، تغمر القطرات وجهى ، لماذا تتساقط بهذه الكثافة ؟

تقطع السكّين إصبعى ، تتساقط دماء ذهبية ! إن لونها مدهش ، مدهش ! أو أننى سعيد قليلاً ..

يدق هاتفها المحمول ، أجفف يدى وأخرج إليها ، تصيح :

« (مشيرة) ! أيتها المجنونة ، لكم أفتقدك ! »

« اليوم ؟ مستحيل ، للتو حضرتنى أفكار الرواية » .

« و(عصمت) أيضًا ستجىء ؟ إذًا قولى لى أين سنذهب أولاً ، فأنا أعرف مفاجآتك ! »

« حسنًا أيتها العنيدة ، انتظرى معى لحظة » .

تبعد الهاتف عن وجهها وتقول :

ــ إنهما صديقتان قديمتان ، تدعوانى للخروج ، فهل يضايقك ؟

أدق لها دقتين ، تقرّب الهاتف وتقول :

ــ حسنًا يا (مشيرة) ، مرّا على حينما تجهزان ، وستجداننى جاهزة إن شاء الله ، إلى اللقاء .

تغلق الموبايل ، ثم تلتقط سماعة الهاتف الأرضى الذى يرن بدوره :

« آلــو .. »

« مرحبًا (هدى) ، أوحشتنى كثيرًا ، كيفك ، وكيف العمل ؟ »

« ماذا ؟ أعادونى للعمل ؟ ألم يفصلونى منه ؟ »

« أية مهارات وأية إنجازات أشعرتهم بالخسارة ؟ هل تتحدثين عنى أنا !؟! »

« أمتأكدة أنكِ سمعتهم بنفسك ؟ إن هذا عظيم! هذا لا يُصدّق ... إنك وجه الخير يا (هدى) .. أشكرك كثيرًا جدًّا .. أراكِ مع بداية الأسبوع . »

تضع السماعة فى ذهول ، تنظر حولها :

ــ هل سمعتَ هذا ؟

أنظر إليها فى سعادة ، أبتسم ، وأعاود العمل .

أخفّض النار ، أضيف النكهات ، أتذوق الطعام ، إننى مدهش ، مدهش !

آه ! تلسعنى النار ، إنها فائقة الألم ، لا أشك أن هذا أقسى عذابًا يقع بأحدهم .

أحضرتُ مقعدًا وجلستُ أرقب الطعام حتى نضج ، أو لنقل إننى تمنيت هذا .

أعد السفرة ، أزيح تلك العلبة بعيدًا ، أملأ كاسات العصير ، أتردد لحظة قبل أن ألتقط الكبريت ، أهم أن أضىء شمعات الشمعدان ، ولكنى أحجم عن هــذا ... لن أحتمــل المزيد من لمسات النيــران ، سأعمل بدلاً من هذا

Loolo www.lodloolibrary.com

شكلاً جماليًا من مناشف المائدة .. ألقى نظرة أخيرة ، هكذا تكون الموائد ، إنها سفرة مدهشة ، مدهشة !

أدق لها على المائدة ، لا تجيب ، أكرر الدق ، تلتفت للحظة :

ــ هاه! كُلْ أنت يا رفيقى إن (لبنى) فى مأزق خطير ، كما أننى أتبع حمية .

ولكن ، ولكن .. لى ساعتان فى المطبخ ، حصلتُ فى عينى على دموع حارقة ، وفى إصبعى على نيران ملتهبة ، أطرق لها من جديد ، أطرق بإصرار ، تتصلب يدى إذ تقول :

ــ قلت لك أن تأكل أنت ، ألا تتوقف لحظة عن أن تكون مُلحًا ؟!

أتصلّب فى موضعى حينًا ، يتمسح القط بساقيها فتدفعه بقدمها ، أنحنى أربّت على ظهره :

ــ لا عليك يا صديقى ، ها قد عاودتها نوبة القسوة .

يدق الهاتف من جديد ، تتفوه بلعنة هامسة ، ثم تنهض إليه :

« نعم ، أنا (ليلى) »

« نعم ، صحيح ، كنتُ قدمتُ لهذه المسابقة »

« لا ، غير ممكن ، لا تقولها أرجوك ، توقف من فضلك ، جزّئها لى ، قلها علىّ عدة مرات متتالية » .

« لا ، صدّقنى ، أنا لا أسخر منك ، ولا أمزح معك ، أنت لا تعرفنى ، أنا أعرف نفسى ، لن أحتمل خبرًا كهذا ، لن أصمد حين تخبرنى أنى فزت بالجائزة الكبرى ، لن يستوعب عقلى أن روايتى ستنشرها أكبر دار نشر بالعالم العربى ، ولن يحتمل قلبى أنى سأنال القيمة المادية لأكبر جائزة عربية . اتصل بى غدًا من فضلك ، وأخبرنى الخبر شطرًا بشطر . شكرًا لك . »

لا تضع السماعة ، تظل تحدّق بها عدة دقائق ، ألتقطها من يدها ، وأضعها بمكانها ، تجلس على الأرض تبكى ، ويعلو نحيبها كالأطفال :

ــ هل سمعت هذا ؟! يقول إنى فزت بالجائزة الكبرى !!!!!!

أخبط كفىّ ببعضهما فيما أبتسم ، وأنزل أربّت على كتفها . ترفع رأسها ، يبدو عليها التذكر ، تهتف فجأة :

ــ هل أنت غاضب منى ؟

أدق دقتين ، تغمر وجهها الابتسامة فيما تقول :

ــ إن قانون الجذب رائع !

قانون الجذب عظيم !

أنا أحب قانون الجذب ، أحب قانون الجذب ، سأحدّث أمى .

تمد يدها إلى الهاتف تلتقطه وتدير الرقم ، تهتف :

« ماما ! عندى خبر سار ستسعدين له جدًا »

Looloo
www.looloolibrary.com

« حقًا ؟! أنت أيضًا ؟ وما هو خبرك ؟ »

« بل قولى لى أولاً ، فصوتك يبدو مُشرقًا »

« حج ؟ قرعة ؟ فزت بقرعة الحج يا ماما ... مبروك يا ماما ، انتظرتها طوال عمرك ، دعوت بها طوال عمرك ، لم تفوّتى عامًا لم تقدمى بها ... أنا سعيدة جدًا من أجلك يا أمى .... فهل أنت سعيدة ؟! »

« هذا ما أردتُ سماعه ، لا يهم شيئًا بعدها ، أدام الله فرحك يا أمى ، سأمر عليك غدًا نحتفل معًا » .

تسقط الابتسامة عن وجهها فجأة ، تتجه نظراتها إلى مائدة السفرة ، تحبو فى بطء نحوها ، ثم تهب تلتقط العلبة ، تزيح غطاءها ، وتنظر بالداخل ، تمد يدها تلتقط ميدالية مفاتيح على شىء من الفخامة ، تنظر إليها وتركض إلى الشرفة ، تفتحها وتنظر لأسفل ، حيث تقبع سيارة ذاك الطبيب مباشرة أسفل العمارة ، ترتفع ببصرها فى ذهول ، فتصطدم بوجه الطبيب الباسم ، ونظرته الواثقة إلى درجة مزعجة .

يرفع يده ملوّحًا لها ، ترفع كفها ، تنظر إلى ذاك الجرح بيدها وتتلمسه بإصبعها ، تغلق الشرفة وتجلس إلى أقرب مقعد فى ذهول .

* * *

17

حال سيئة جدًا

تغرق فى الصمت ، وبين الحين والحين تنطق بكلمة لا أستوعب سياقها :

« التوقيع على الورقة ، يبدو أننى فعلت » .

« مريب ... مريب ... »

تعود للشرود ، ثم تعود للتمتمة :

« إثبات لحسن نوايا الكون ، نعم ، المفاتيح » .

« أمى سعيدة ، لكن هو مريب » .

تهب فجأة ، ترتدى ملابسها فى سرعة ، أدق لها فلا تستجيب ، تقبض على العلبة وتركض إلى الخارج مغلقة الباب خلفها .

أسارع إلى الشرفة ، أرقبها تخرج من العمارة وتتجه مباشرة إلى العمارة المقابلة ، أرتفع ببصرى فأرمق نظرته الواثقة إلى درجة مرعبة ، قبل أن يتجه للداخل ، ويغلق الستارة .

أحاول التلصص على شىء بالداخل ، لا أرى غير خيالات ، لحظات طويلة مرّت قبل أن ألمحها تخرج من عمارته وتتجه للمنزل .... أركض إلى الباب بانتظارها .

www.looloolibrary.com

تدلف فتلتقط أنفاسها وتجلس على أقرب مقعد ، ولا تبدو بيدها العلبة التى نزلت بها . يظهر (نجيب) بالشرفة حاملاً الهاتف ، يرن الهاتف ، تلتقط السماعة ، أسارع بالتقاط سماعة الهاتف الآخر وأستمع :

ــ هل تسعين للتخلص من الأهداف بدلاً من تحقيقها ؟

ــ ليست مصادفة أن تتحقق أكثر الأهداف فى اليوم التالى مباشرةً لكتابتها ، ولن أنتظر حتى يتحققوا جميعًا فيكون علىّ أن أموت .

ــ أوافقك ولكن ، لماذا أعدتِ المفاتيح ؟ أنتِ كتبتها فى أهدافك ، ونلتها بالفعل وأصبحت لكِ ، وشطبتها أنا من القائمة التى بين يدى فاقتربتِ أنتِ خطوة من الموت ، ثم وبالرغم من هذا كله ، لا تستخدمينها حتى مرة ؟! هذا ليس عدلاً .

تبعد السماعة عن أذنها لحظة ، تبدو عليها الصدمة ، ترفع وجهها لتنظر إليه عبر الشرفة ، ثم تعود تتحدث إليه :

ــ دعنى أخبرك أنه من الصادم لى ألا تنكر فعلتك ، أما وقد صار حديثنا مكشوفًا فأرغب أن أعرف ماذا تفيد من هذا !

ــ وهل هى فعلة شنعاء لأنكرها ؟! ودعينى أؤكد أن كلها فوائد .

ثم يغلق الخط .

تجلس (ليلى) منهارة ، أسارع بإغلاق الشرفة ، ألاحق أنفاسى ، وأدنو منها ... تردد من بين دموعها :

ــ ما كانت أهدافى ؟ يجب أن أهدأ ، ما كانت أهدافى ؟

تعد على أصابعها :

ــ السيارة ، الثروة ، المجد الأدبى ، الحماس للكتابة ، فقدان الوزن ، سعادة أمى ....

تتوقف تلتقط أنفاسها :

ــ ماذا أيضًا ؟ ماذا أيضًا ؟

يرن جرس الباب ، تصرخ :

ــ الوظيفة ! الوظيفة !

أنظر عبر العين السحرية ، إنها امرأة تتابع رن الجرس فى إصرار .. تتهيب (ليلى) ، تقترب بحذر ، لكنها إذ تنظر من العين تطلق زفيرًا وتسارع بفتح الباب ، ثم تستقبلها بحضنها :

ــ مرحبًا يا (مشيرة) ، اشتقتُ إليك .

يبدو العجب على وجه (مشيرة) ، فتصيح :

ــ وأنا أيضًا يا عزيزتى ، لقد تغيرتِ كثيرًا ، لقد نحلتِ جدًا ، وعيناك غائرتان ، ثم .. ما بالك تبدين شاحبة هكذا ؟ أخبرك شيئًا ، إنكِ كالموتى .

تصدم الكلمة (ليلى) ، تقول كالمنوّمة :

ــ بهذه السرعة ؟! بقى لى ثلاث بعد .

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أى ثلاث ؟

لا تنتظر إجابتها ، تمسك بيدها :

ـ على كل حالٍ ، نكمل حديثنا بالطريق ، ومن الرائع أنكِ مستعدة .

تستوقفها (ليلى) :

ـ فقط انتظرى يا (مشيرة) ، أنا فى حال سيئة فعلاً ولن أستطيع الخروج .

تجذبها جذبًا للخارج :

ـ لا ، لا ، مثل هذا الكلام لن يصلح معى ، ولن يصلح مع (عصمت) ، وأنتِ تعرفين (عصمت)

ـ صدقينى أنا .....

كانتا الآن بالخارج بالفعل ، فانسلّت (ليلى) من يدها قائلة :

ـ إذًا انتظرى أحضر حقيبتى .

تلتقط حقيبتها ، تقود صديقتها للخارج ، فيما ترفع كفّها إلى مودّعة ، وتغلق الباب .

* * *

18

(من تسجيلات الأقمار الصناعية)

تجلس (ليلى) فى السيارة إلى جوار (مشيرة) ، تنظر للطريق ولا تنطق بكلمة ، تقول (مشيرة) :

ـ والآن ، ما الذى كنتِ تقولينه ؟

لا يبدو على (ليلى) الاستماع ، تكرر (مشيرة) بنبرة أعلى :

ـ أقول ، لماذا تبدين فى هذه الحال ، ألم تتجاوزى وفاة (كامل) بعد كل هذه المدة ؟

تلتفت إليها (ليلى) فى هدوء ، ثم تعاود النظر من النافذة. تصيح (مشيرة) :

ـ آآه .. فهمت ، أخبركِ شيئًا .. أنتِ تمرين بمصيبة من مصائبك المعتادة .

تومئ برأسها مؤكدة :

ـ لابد أن الأمر كذلك .

ثم تلكزها فى جانبها :

ـ أنتِ حتى لم تسألينى : أين نحن ذاهبتان ؟

تنظر إليها لحظة ، ثم تعود تنظر أمامها :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ولن تسألينني أيضًا .

ثم تبتلع كلماتها لآخر الطريق .

تقودها إلى قاعة كبرى مرتصة بالمقاعد ومزدحمة بالحضور ، تستدير (عصمت) من فوق مقعد فى الصفوف الأولى ، تشرق لرؤيتهما وتلوّح لهما :

ــ هنا ! هنا !

تذهبان إليها ، فتهب لتحيتهما بضربة كف لا أكثر. ثم تدعوهما للجلوس . تتبادل مع (مشيرة) عبارة جانبية بينما تشير إلى (ليلى) :

ــ ما لها هذه ؟!

ــ لا أدرى ، إنها تخيفنى .

ــ ومتى لم تفعل !

يبدأ الضيوف باحتلال مقاعد المنصة ، يتناول أحدهم الميكروفون ويقول بضع عبارات افتتاحية ، فيما تميل (مشيرة) على (عصمت) قائلة :

ــ أتمنى أن تعجبها هذه المفاجأة وتحسّن مزاجها .

ــ أنا ما قبلت الخروج فى حدث ممل كهذا إلا من أجلها ، نحن نضحى من أجل صديقتنا وأنا واثقة أنها سيغشى عليها من السعادة ، وإن لم تسعد بحدث كهذا فلأقتل أو أشنق !

ينهى الضيف حديثه بعبارة :

« خرج من صومعته من أجلكم ، جاء خصيصًا من أجل قرائه فى أجمل محافظات العالم : (القاهرة) ، وهو المعروف بندرة لقاءاته المباشرة ، رحبّوا معى برائد أدب الرعب العربى : د. (أحمد خالد توفيق) ! »

يدلف الكاتب الشهير إلى القاعة ، تضج القاعة بالتصفيق حتى لتشعر أنها تتكسر فوق الرءوس ، تختلس (مشيرة) و(عصمت) نظرات إلى (ليلى) ، يسقط رأس (ليلى) بين كفيها وتجهش بالبكاء ، تبتسم (عصمت) فى حنان وتقول :

ــ أرأيتِ ؟! دموع الفرح .

* * *

تهب (ليلى) واقفة وتخترق الجمع إلى الخارج ، تتبعها الفتاتان تركضان :

ــ (ليلى) ! انتظرى .. ما الذى حدث ؟!

تتوقف (ليلى) على الطريق ، تشير إلى سيارة أجرة ، تمسك بها (مشيرة) من ذراعها :

ــ بل سأوصلك .

تنفض ذراعها بعنف :

ــ إيّاكِ أن تلمسينى ثانيةً يا (مشيرة) أو تتحدثى معى ، ولن أركب معك .

Looloo
www.looloolibrary.com

تقف (مشيرة) فى ذهول ، تصيح (عصمت) :

ــ حسنًا ، اركبى معى أنا ، سأوصلك .

تقودها (عصمت) إلى السيارة ، فيما تربّت على كتف (مشيرة) سريعًا وتتجاوزها . بالطريق تلهث (عصمت) :

ــ اهدئى يا (ليلى) ، اهدئى .. ظننا الأمر سيسعدك .

ــ وهذا يكفى لأن يتعسنى ، ففى حياتى التى تشبه الموت ، يمكن للسعادة أن تصيبنى بالحزن .

ــ أى موت يا (ليلى) ؟ ما الذى يحدث بالضبط ؟

ــ الموت الذى هو الموت يا (عصمت) ، إننى ميتة تمشى على قدمين ، ولم يبقَ لى سوى هدفين ، وبهذا المعدّل يبدو أنهما سيتحققان اليوم بالذات ، فإذا تحقق ثمانية أهداف فى يوم ، فلم لا يتحقق الاثنان الباقيان ؟ وحينها يمكننى أن أموت بلا لكاعة .

ــ لا يعلم موعد الموت سوى الله يا (ليلى) .

ــ لكننى أشعر به ، أشعر أنى بلا روح ، أشعر الحياة تخنقنى لتلفظنى منها .

ــ لا تقولى هذا يا (ليلى) ، الحياة مليئة بالمسرّات ، هل تعرفى ، كدتِ تنسينى ، إننى أحمل لكِ سلامًا احذرى مِن من ؟

تصمت (ليلى) ترقبًا ، تركن (عصمت) السيارة أسفل العمارة ، ثم تبتسم وتقول لها :

ــ من (سامى) ، نعم (سامى) ، لقد التقيته فى النقابة صباحًا ، ويبدو أنه قد أصبح رئيس تحرير أو شىء ما ، كان يرتدى بذلة فخمة ولا يكف هاتفه عن الرنين ، وسألنى عنكِ يا (ليلى) ، وأوصانى أن أخبركِ أنه يرسل سلامه .

ــ وقد أخبرتنى يا (عصمت) ، هربتُ من (مشيرة) لأسمعها منكِ أنتِ . ولكننى أنا أيضًا أخبرتك ، أخبرتك أن سعادتى تعاسة ، وحياتى موت ، وأنهما هدفان ويتحققان اليوم ، وشطب الآن (نجيب) أحدهما ، فانخفض العدد إلى واحد .

تفتح السيارة ، وتركض إلى العمارة .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

19

حل بسيط جداً

تفتح الباب ، ترتمى فوق مقعد .

وتجهش بالبكاء .

يهالنى منظرها ، أركض إليها ، أطرق على مسند المقعد وأربّت على كتفها ، تقول من بين دموعها :

ــ لم يبقَ فى العمر غير لحظات ، وأريد أن أراك فيها يا (راء سبعمائة وبضعة آلاف) ، أريد أن أرى الرجل الشبح الذى مكث جوارى حين انفض الرجال من لحم ودم . أريد أن أرى الرجل الذى تخلى عن حياته ليعيش حياتى ، فيصحو حين أصحو ، ولا ينام حتى أنام ... استأذنهم يا (راء) ، إنهم رحماء ، ولن يضنّوا على بسعادة أخيرة .

تقوم ، وتتجه إلى غرفتها ، أتجه نحو الكمبيوتر ، وأتخذ مقعدى :

« أيها السادة العظماء »

هل سمعتموها ؟

إنها تقول إنكم رحماء ، وقد قالت من قبل إنها تحبكم ، فهل تستحقون مديحها ؟

إننى أكتب لكم مذ جئت إلى هذه المهمة لكى تمنحونى جسدًا وأنا لا أطلب جسد شخص آخر وإنما جسدى أنا ، فهل يمكنكم أن تنزلوا مرة

عن أبراجكم العاجية ، وغطرستكم اللا متناهية ، وتكونون على مستوى المسئولية وكما تأمل منكم فتاة تحتضر وتستنجد بكم ؟

أنا أريد جسدى .

هل تسمعوننى ؟

أريد جسدى .

أريد جسدى .

« وسأجدد طلبى فى كل لحظة » .

ولن أتوقف حتى أناله » .

أبتعد عن الكمبيوتر ، تقع عينى على المسجّل ، أطوى يدى عليه وأذهب إليها فى الفراش ، أضغط الزر فأقول :

ــ هل ترغبين ببعض الحديث ؟

تسمعنى فتعتدل جالسةً ، تشرق عيونها بالفرحة ، قبل أن تلتمع بالدمعة ، تمنحنى ظهرها فيما تعاود النوم :

ــ دعنا لا نغضبهم يا (راء) .

أجزّ على أسنانى ، أقذف بالمسجل إلى الحائط ، يتهاوى إلى الأرض ، أتتبعه بأعين متسعة ، بقدر اتساع صبرى ، بقدر عمق حبى ، بقدر جموح ــ الفكرة ــ التى ــ ومضت ــ بعقلى

Looloo
www.looloolibrary.com

أركض إلى غرفة المعيشة ، أوصد بابها جيّدا ، أضيء النور وأتجه إلى المكتبة فى الركن ، أفتّش أركانها جيّدًا حتى أجد تلك الكاميرا .

أتلمسها بأنامل مرتعشة ، أقبض عليها بقوة ، وأرفعها أمام وجهى ، وأديرها .

ترتفع عينى إلى الساعة على الحائط ، تتسلل إلى أذنى دقاتها ، تيك ، تاك ، تيك ، تاك .. ولكن عقربها لا يتقدم ، إنه يرجع الخطوة التى تقدمها ، فى كل لحظة .

هل أرانى ؟

وكيف أنا ؟

لا يهم كيف أنا ، المهم ، كيف سترانى هى ؟

هل أنا من الطراز الذى يعجبها ؟

ولماذا أتساءل :

لماذا لا أتجه مباشرة إلى الإجابة ؟

كليك !

أقرّب الكاميرا ، وأنظر إلى صورتى بأعين متسعة ...

بقدر اتساع أنفى .

بقدر انتشار بقعى .

بقدر كثافة القطرات التى تتساقط من عينى :

هاتان الأذنان المدببتان الطويلتان

هاتان العينان الضيقتان

الأنف المفلطح

الجلد المبقّع

هذا لا يمكن أن يكون أنا

هذا لا يمكن أن تراه هى .

أسقط إلى الأرض أبكى وأردد :

« هذا مسخ » .

مسخ !!

ويبدو أننى قد غلبنى النوم .. وفى المنام ، زارنى الهاتف :

« يا روحًا تخصنا ، تأخرنا واستعجلتنا ، يا روحًا تخصنا ، منحناك ما سألتنا » .

« لاااا » .

أهبُّ متيقظًا .. أتلفت حولى فى الغرفة .. أفتح الباب فى حذر ، ثم أركض إلى الحمام ، أقف أمام المرآة ، ثم أرفع رأسى إليها ببطء..

لاااااا ، إنه انعكاس المسخ ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أركض إلى جهاز الكمبيوتر ، أفتحه وأنتظر دقائق طويلة جدًا قبل أن يعمل ... أفتح صفحة وورد بلهف وأكتب :

« لا يا أيها السادة ، أرجوكم ، لم أعد أريد جسدى ، أعيدونى مخفيًا كما كنت ، لم يرقنى جامع القمامة ، وعففت عن أن أحصل على جسد مثله ، فكيف بجسد المسخ ؟ لا أريد جسد المسخ! لا أريد جسد المسخ !

لا أقدر أن أنظر إلى نفسى ، أو أن أريها وجهى ..

« أرجوكم » .

« أرجوكم .. »

وقبل أن أحفظ الملف يتسلل إلى أذنى صوتها من غرفة النوم :

ــ رفيقى ... هل استيقظت ؟

أقفز من فوق المقعد ، أركض أختبأ خلف الأريكة .. تخطو ببطء عبر الممر ، تدنو من الصالة فيما تغلق إضاءة الحمام قائلة :

ــ الصالة ، الحمام ، غرفة المعيشة ، إنك تضىء أنوار الشقة كلها يا رفيقى ، فأين أنت بالضبط ؟

تغيب فى الداخل .. أتسلل بسرعة إلى الملف أحفظه وأنقله إلى سلة المهملات ، وذلك حين تصعقنى الصرخة .. أسرع على إثرها فأجدها وقد ارتمت على أريكة غرفة المعيشة تبكى ، وبجانبها الكاميرا .

* * *

20

مسخ جميل جدًّا

أرفع سحّاب السويتر حتى عنقى ، وأسدل غطاء الرأس حتّى عينى ، وأنظر ــ دائمًا ــ للأرض .

أتجه إليها حيث تنطوى على ذاتها فوق الأريكة ، فتتوقف عن البكاء ، وتشخص ببصرها إلىّ إذ أجلس على طرف الأريكة ، وقد أوليتها ظهرى ، أقول :

ــ أنا ... آسف من أجل هذا !

تعتدل فى جلستها ، تمد إلى يدها تتلمس كتفى ، مثل رحمة من السماء حطت على كتفى ، أو هم سقط ؛ كم كان رائعًا إحساس اللمس! ولكنى أقول ما كنتُ أزمع قوله :

ــ سـ ... أرحل ... وأردتُ أن أشكركِ على استضافتك الكريمة .

تعاجلنى :

ــ ولماذا تريد أن تتركنى ؟

يرتعش صوتى إذ أقول :

ــ لا أريد لكِ أن تصبحى وتمسى على وجه كهذا .

تتلمس ذقنى ، تدير وجهى إليها بكفها ، فتلتقى عينى بعينها للمرة الأولى :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ سامحنى لانفعالى الأول ، ولكن هذا الوجه أحبُّ إلى من أى وجه .

ـ لا يمكننى أن أبقى بعدما رأيتِ وجهى .

ـ لا يمكنك أن ترحل بعدما وعدتنى بالبقاء .

ـ تمنيتُ ألا أتركك يا (ليلى) ، تمنيتُ أن أملك جسدًا مثل أولئك البشر بالخارج فقط لأحظى بنظرة من عينك أو لمسة من يدك ، تمنيتُ جسدًا حتى أستطيع أن أحاوطكِ بذراعىّ فأبعد عنكِ شرور العالم ، تمنيتُ جسدًا حتى أستطيع أن أذهب لوالدتك لطلب يدك ، ولكن ...

أحنى رأسى لأسفل ، تقول :

ـ ولكن ماذا ؟ قد أخلصت التمنى يا (راء) ، واستجاب الكون طلبك ، وها قد استفدنا شيئًا من قانون الجذب ذاك ، فأرنى ما يمكنك أن تفعل !

أرفع رأسى بعجب :

ـ هل تعنين ....؟

ـ نعم ، دعنا نتزوج .

ـ تتزوجيننى دونًا عن كل الرجال بالعالم ؟

ـ إن أحـدًا من « كل الرجـال بالعالم » لم يضمم الغطاء على ليلاً ، أو يسهر جوارى يطببنى ويبكى من أجلى ، لقد شعرتُ صدقك يا (راء) ، وإن أية فتاة بالكون لن تحتاج أكثر من هذا .

ـ أنتِ ملاك ، أما أنا فمسخ .

ـ أنا لستُ ملاكًا ، وأنت لستَ بشرًا ، وهذا كل ما فى الأمر .

تقف وتمسك بيدى تقودنى إلى الصالة ، تجلسنى أمام الحاسب وتقول :

ـ هيّا اكتب لهم ، استأذنهم فى الزواج .

أرفع رأسى إليها فى وجل :

ـ أتظنين بأن يوافقوا على زواجنا ؟

ـ أنا واثقة ، فقد صدقت ظنونى فيهم فيما سبق ، وأظنهم من الكرم بما يسمح لهم بإجابة طلبات جنودهم .

تتصلب أصابعى على الكيبورد ، أرفع رأسى إليها بوجل :

ـ أخشى أن يرفضوا ؛ إن الزواج يعنى ألاّ أعود إليهم ثانيةً ، فيفقدوا جندى مهماتهم إلى الأبد .

ـ بل اطمئن ، سيوافقوا ، أنا أعلم جيّدًا أنهم سيفعلوا .

من أين تأتى بهذه الثقـة ؟ أكتب الرسالة بأيدٍ مرتعشة ، أسرع فى إرسالها ، أكاد أنهض عن المقعد حين يدوّى الصوت برأسى :

« يا روحًا تخصنا ، لكثر ما فاض كرمنا ، يا روحًا تخصنا ، منحناك مباركتنا .

أرتج جالسًا فى المقعد ، تحاوطنى يدا (ليلى) الحانيتان :

ـ (راء) ، ما بك ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

أجيبها ذاهلاً :

ــ سمحوا لنا بالزواج يا (ليلى) ، سمحوا لنا بالزواج !!

تومىء برأسها فى ابتسامة تجمع بين معانى الحزن والفرح :

ــ أجل ، أجل .

* * *

أجلس جوارها على الأريكة ، فيما تحدّث والدتها :

« عندى لكِ خبر سار يا ماما ، سأمر عليكِ مساءً أنا وشخص عزيز أحبّ أن أقدّمه إليكِ ، ومعنا المأذون » .

« فقط حاولى أن تتمالكى أعصابك ، وسأشرح لكِ كل شىء حين ألقاكِ »

« وما دخل الناس يا ماما ، ألم أكمل العدّة ؟ أخبريهم على مهل فيما بعد ، أما الآن ، فعلينا اغتنام الأوقات الحلوة قبل أن يتدخل الناس لإفسادها » .

« نعم ، بالتأكيد ، إنه شخص رائع ونقى القلب ستحبينه بسرعة » .

« اسمه ... اسمه ... حسنًا يا ماما ، يجب أن أذهب الآن فهناك الكثير من الاستعدادات ، وسنلتقى بعد قليل » .

تنظر لى وتبتسم ، تتمدد وتريح رأسها على رجلى فيما تقول :

ــ يجب أن نذهب لشراء الفستان والبذلة .

ــ يكفى الفستان ، أما أنا فسيناسبنى أكثر هذا السويتر ..

تومئ برأسها ولا تعلّق ، أقول :

ــ لم تخبرينى لماذا كنت تبكين بالأمس ؟

ــ هذه قصّة طويلة ، دعنا نرجئها لبعد الزواج ، سيكون عندنا متسعًا للحكايات .. والآن ، قل لى .. هل تملك بطاقة هوية ؟

ــ وما بطاقة الهوية ؟!

ــ هذه مشكلة .

يدق الهاتف ، فتعتدل وتتناوله :

« آلــو » .

« ألم أحذّرك سابقًا من معاودة الاتصال بى ؟ »

أمد إليها يدى :

ــ دعينى أحدثه .

لا أمهلها ، ألتقط الهاتف وأصيح :

ــ ماذا تريد ؟

ــ ومن أنت أصلاً ؟

ــ أنا سأكون زوجها .

يطلق ضحكة طويلة :

ــ زوجها ! هكذا مرة واحدة ؟! إذًا أرنى كيف ستتزوجها

Looloo
www.looloo.com

ــ وهل ستمنعنى ؟

ــ أجل ، أمنعك .

ــ أرنى كيف !

ــ إذًا قابلنى بالأسفل .

أضع الهاتف ، أهب إلى الباب ، تتبعنى (ليلى) محاولة منعى ، فأصيح بها أن تلزم المنزل ولا تنزل ، وأغلق الباب .

أتوقف عند مدخل العمارة ، يبدو لى (نجيب) عند المدخل المقابل ، يتقدم منى ويدلف إلى مدخل العمارة قائلاً باستهزاء :

ــ مرحبًا يا .. رفيقى ..

يدهشنى النداء ، يتابع حديثه :

ــ ولكن قل لى .. لماذا أنت مقزز بهذا الشكل ؟

أقبض على ياقته فيما أقول :

ــ دعك منى ، والآن لتخبرنى ما الذى تريده منها ولماذا تطاردها بهذا الشكل ؟!

يحرر نفسه ، ويطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يرفع يده ويوجّه إلى لكمة تسقطنى أرضًا ، يقول :

ــ أطاردها من أجلك أنت !

تلتبس الجملة فى عقلى ، هل حقًا قال أم هو وقع اللكمة ، يتجمع المارة ، تتفحصنى نظراتهم المتطفلة وتستقر فى اشمئزاز فوق أذنى التى سقط عنها الغطاء .. يصيح ضاحكًا :

ــ من أين لك بأذنى الحمار هاتين ؟ لأنى أرغب فى الحصول على اثنتين .

يضحك البعض ، يهمسون لبعضهم البعض ، أحاول الوقوف فيما أقول :

ــ كيف تطاردها من أجلى ؟!

ــ أطاردها لتبدو أنت النبيل الذى ينقذها من الأوغاد أمثالى ، هل فهمت ؟

تبدو (ليلى) مذعورة على حافة السلّم ، أصيح بها :

ــ أخبرتك ألا تنزلى ، اصعدى حالاً .

ــ لا تشتبك معه ، دعه واصعد معى .

أصرخ بصوتٍ أرجفنى أنا :

ــ قلتُ لكِ اصعدى .

تتصلب فى مكانها .. ألتفت إليه فأجده وقد وقف مميلاً رأسه ورافعًا عينه إلىّ مصوّبًا تلك النظرة الواثقة إلى درجة مُقبِضة .. لحظات ثم تقدّم إلى فىّ بطء ، مدّ ذراعه إلى كتفى وقال بهدوء :

ــ وعلى كل حال ، ولتعلم أن لدى روحًا رياضية ، أنا أبارك لك هذا الزواج .

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم أخرج من جيبه مظروفًا صغيرًا جدًّا ، وقال :

ــ وهذه هدية الزواج .

ــ وما هذه ؟

ــ افتحها لترى .

أفض المظروف فيما لا أرفع عينى عنه ، فأجد بطاقةً صغيرة ، فوقها صورتى ، وبيانات يُفترَض أنها تخصنى ، والاسم : (رفيق سباعى الألفى)

أرمقه بنظرة غل ، أدفع بالبطاقة فى جيبى ثم أرفع كفّى إليه فى لكمة ترج رأسه وترجعه خطوات للوراء ، أنقض عليه بكل طاقتى فأتابع توجيه اللكمات إلى وجهه ، يتراجع حتى يصطدم بالحائط من خلفه .. أقول :

ــ أنت ستحكى لى كل شىء .

يصيح أحدهم :

ــ يكفى ستقتله .

أوجه إليه ضربة أخيرة تخبط رأسه بالحائط ، وتُسيل الدماء من وجهه .. أرمق الدماء الذهبية التى تتدفق من وجهه فى ذهول .. تتعالى التعوّذات والبسملات من خلفى .

يتساقط أرضًا ، لكنى أقبض على عنقه وأمنعه من السقوط ، فيما أستدير أنظر إلى الجمع فيتراجعون خطوة للوراء ، أصرخ بهم :

ــ إلامَ تنظرون! ليذهب كل فى طريقه .

ينفضّون فى سرعة ، ألتفت إلى (ليلى) :

ــ والآن يمكنكِ أن تصعدى ، سنتحدث قليلاً لا أكثر .

ــ دعنى أبقَ معك .

ــ أرجوكِ أن تتركينا لدقائق لا أكثر .

وحين أطمئن إلى صعودها ، ألتفت إلى (نجيب) فأقوده إلى درجة سلم ألقى به فوقه وأقول :

ــ تكلم ، من أنت ؟ لماذا تحمل نفس لون دمائى ؟ لماذا تطاردها ؟ من أين حصلت على البطاقة ؟ ما الذى تريده منها ؟ احكِ لى كل شىء .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

21

قطرات كثيفة جـدًا

يجفف دماءه بظهر كفه ويقول :

ــ لا تدّعى البطولة على حسابى ، كلنا يفعل ما أُرسِل من أجله ، كلنا يخطو وفق علامات الناموس الأعظم ، أنا شرير لأن مهمتى تتطلب هذا ، وأنت طيب لأن مهمتك تتطلب هذا . وهذا هو كل شىء .

ينهى عبارته ، ألقى بجسدى إلى جواره أفكّر شاردًا فيما قاله ، يستدرك :

ــ هل تستطيع أن تخبرنى لماذا أرسلوك ؟

ــ لكى أراقبها .

يضحك ربع ضحكة :

ــ ألم أقل لك إنك طيب ؟ وما حاجتهم لرقابتك وهم يملكون أقمارًا صناعية تغطى كل بقعة من العالم ؟

أنتبه للأمر للمرة الأولى للأمر ، وقبل أن أتساءل يستفيض بالشرح :

ــ أنا نون تسعمائة وبضعة ملايين ، فئة الحاجب التى تدنو من فئة السادة مباشرة ، لابد أنك سمعت عنها ، لابد أنك تعرفها جيدًا وتبيت تحلم بأن يحالفك الحظ فتحقق إنجازًا عظيمًا ذات يوم يتيح لك أن ترقى إليها . أنا أبدو شريرًا لأن مهمتى أن أجعلها توقّع على الأهداف العشر ثم أُشعِرها

بالخطر الذى يدفعها لأحضانك ، وأنت تبدو طيّبًا لأن مهمتك أن تستقبلها بأحضانك وتجعلها تحبك وتتزوجك .

ــ ولماذا يرغبون بتزويجنا ؟

ــ لتتم أهدافها العشر ، فالزواج عن حب حقيقى هو هدفها الأخير .

ــ وهل تعلم هى ذلك ؟

ــ بالتأكيد ، كان لها مطلق الحرية فى اختيار أهدافها ، وقد وافقت أهدافها توقعات سادة عالمنا فى معظمها ، وقد استجاب الجميع لهاتف سادتنا بأن يحققوا لـ (ليلى) أهدافها ، رؤساء عملها أعادوها للعمل ، لجنة المسابقة منحتها الجائزة الكبرى ، خطيبها السابق أرسل سلامه إليها ، وهكذا . وكلها أمرها سهل ، ولو كانت تمنت حبًا فقط لكان سهلاً كذلك ، أما الحب الحقيقى فلا يكفى فيه الإيعاز لأحدهم بادعاء الحب ، وإنما حله هو تورط أحدهم فى الحب فعلاً .

ــ ولماذا كل هذا ، لماذا يهتم سادتنا بتحقيق أهدافها ؟

ــ هذا حقها ، نحن أردنا جسدها وهى تستحق ثمن جسدها ، وهى التى ابتدأت كل شىء .

ــ ولماذا جسدها ؟

ــ جسد حزين ... ألم تكتب هذا بنفسها فى روايتها ؟

ــ ولكنها كتبت أيضًا أن الحزن وحده لا يبرر الحصول على الجسد .

Looloo www.looloo.com

ــ نعم ، كتبت أن (لبنى) قد حررت روحًا شريرة بمشاركتها فى جلسة تحضير أرواح أو قراءة تعويذة ما . أما (ليلى) فقد قامت بما هو أخطر من هذا .. لقد كتبت بذاتها التعويذة ، تعويذة كاملة بعنوان (رواية روح شريرة جدًا) .

يرجع برأسه للوراء :

ــ الكلمة هى كل شىء ، التعويذة كلمة ، الدعاء كلمة ، الأمنية كلمة ، والرسالة التى نرسلها إلى سادة عالمنا كلمة ، والهاتف الذى يجيبوننا به كلمة ، والرواية كلمة . وحين ابتدأت (ليلى) كتابة روايتها ، كانت قد أرسلت رسالات إلى قادة عالمنا تزعجهم وتقلقهم بشأن المصير الذى ينتظرهم .. حررت بكلماتها روحًا دون أن توفر لها جسدًا ، وكتبت بيديها شروط الحصول على جسد ، واتبعتها كأفضل ما يكون ، الحزن على فقد الزوج ، الوهن ، الشعور بفقدان الروح ، الرغبة فى فقد الجسد ، ثم التجارب المحرّمة كجلسات تحضير الأرواح أو قراءة التعويذات أو كتابة الروايات التى تشبه التعويذات. هكذا أصبح على سادة عالمنا أن يوفروا جسدًا لروحهم الشريرة التى تحررت ، فتم إرسالنا ــ نحن أرواح المهمات ــ لتمهيد الطريق للحصول على جسد (ليلى) .

تختلج الضلوع فى صدرى ، وتنمو دمعة :

ــ وأنا ... أنا الذى يساعدكم على قتل (ليلى) ؟

ــ كلنا ينفذ ما يؤمر به ، أو يتم إحراقه ، هل تريد نصيحتى ؟ تزوجها سريعًا ودعنا ننته من هذه المهمة المملة .

تدنو (ليلى) بحذر من أعلى :

ــ (راء) ..

أمسح دمعة كى لا تراها ، أرفع رأسى إليها :

ــ ارتدى ملابسك ، سنذهب لشراء الفستان .

* * *

البشر قساة .. أتجاهلهم وأمعن النظر إليها ، وما يدهشنى أنها منهم .

تمسك بكفى :

ــ لماذا كنتَ تبكى حين نزلتُ إليك ؟

ــ هل رأيتِ دموعى ؟

ــ هل ضايقك (نجيب) ؟

ــ لا ، إنه رجل طيّب ، تصوّرى أنه أهدانى بطاقة هوية ..

ــ بطاقة هوية ؟ لا أفهم شيئًا ! ولماذا يساعدنا على إتمام زواجنا ؟!

ــ لأنه رجل طيب .

تتوقف وتنظر لى بدهشة ، أحاوطها بذراعى وأتابع السير .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

تشير للبائعة إلى فستان فى الفاترينة :

ـ هذا هو ، اطويه لى .

ـ ألن تجرّبيه ؟

تنظر إلى ساعتها :

ـ لا يوجد وقت .

* * *

نمر أمام إحدى المحلات ، أتوقف ، وأقول لها :

ـ انتظرينى لحظة .

ثم أعود حاملاً لفافة بيدى ، أدسها بالسويتر فيما تسألنى :

ـ ماذا أحضرت ؟

ـ شيئًا يخصنى .

ـ هكذا إذًا ؟

ـ نعم ، ويقولون إنهم يريدون نقودًا .

تبتسم ، فيما تمنحنى النقود .

* * *

ندلف إلى البيت ، تقول لى :

ـ يجب أن نستعد سريعًا ، حتى نلحق بالمأذون ونذهب لأمى .

ثم تحمل الفستان وتتجه إلى غرفتها .. أمسك بيدها أستوقفها :

ـ دقيقة واحدة يا (ليلى) ، اجلسى من فضلك .

أجلسها إلى أحد المقاعد ، وأجلس جوارها :

ـ هل تعرفين أننى أحببتك ؟

ـ نعم .

ـ إذًا ، فلتذكرى هذا دائمًا .

ألقى إليها نظـرة طويلة ، ثم أنهض . يأتينى صوتها من خلف ظهرى إذ تنهض خلفى :

ـ ما معنى هذا ؟!

ما معنى هذا!! ؟!

لا أجيب . تلحق بى ، تديرنى إليها :

ـ لم تقل لى ما الذى أبكاك اليوم ..

ـ سأخبرك عن الذى أبكانى اليوم ، حين تخبرينى عن الذى أبكاك بالأمس ، حين يكون لدينا متسع من الوقت ، بعد الزواج .

أتركها وأخطو إلى المطبخ :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ سأعد فنجانين من القهوة ، حتى تنتهين من الاستعداد .

ــ ولكن ...

أقاطعها :

ــ أسرعى ، لا يوجد وقت .

تسرع إلى الداخل ..

أجلس أمام الشرفة ، ألوّح بكفى لــ نون تسعمائة وبضعة ملايين ، أحتسى الرشفة الأخيرة من فنجانى .. متعًا صغيرة بالحياة تجعل مذاقها أفضل .

أستخرج زجاجة الكيروسين من السويتر ، أسكبها فوقى ، أتناول عود كبريت ، وأشعله .

تشتعل رأسى ، تدوّى الصواعق بالسماء ، يدوّى الهاتف زائرًا فى روحى :

« يا روحًا تخصــنا ، جرؤتَ تعصى أمرنا ، يا روحًا تخصــنا ، بادرتَ تحرق روحنا » .

أتلوى فى النــار ، عذابات كبيرة بالحياة تجعل فراقها أسهل ، ترتجف الأنوار ، تشتعل شمعات الشمعدان ، تهب شعلات الموقد .. تخرج أميرتى فى ثوب زفافها ، تركض بجنون فى الممر ، تتخبط بين الجدران ، تشهق فى رعب لرؤيتى ، تسقط على الأرض .

لم أمنحها حقها فى الوصف فيما سبق ، دعنى أحاول وصفها فى الثوب الأبيض ...

إنها تبدو جميلة ، بقدر قبح نفوسهم ..

تبدو رقيقة ، بقدر قسوة قلوبهم ..

تبدو هشّة ، بقدر متانة فخاخهم ..

تبدو بريئة ، بقدر جبروتهم على اقتراف الخديعة.

تبدو طاهرة ، لأنه خارج حدود هذا الثوب الأبيض ، فإن كل العالم دنس .

تبدو فاتنة ، تبدو واهنة ، تبدو كمن تلقى الصفعة غدرًا ، تبدو كمن تلقى الطعنة ظهرًا .. تبدو كمن يسامح ، تبدو كمن لن يغفر ، تبدو كمن لا يصدّق ، تبدو كمن لم يفهم ..

لا تبدو كمن يحتالون لقتله ، بل تبدو كمن يحتالون لنجاته ، وهو غاضب جدًا لهذا .

تحرقنى النار أكثر ، تصبح عيونى جمرتين ، وكفى رمادًا ، وأقترب لحظة بلحظة ، من أن تعيش هى . تختفى فى الداخل لحظة ، وتعود حاملة دلوين بيديها ، يلذعنى سائل من بين النيران ، يمنعنى لحظة من أن أحفظ حياتها ، من أين تأتى هذه القطرات ؟ ولماذا تتساقط بهذه الكثافة ؟!

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

خـاتمـة

(أيها الراحل تفكّر؛ سُلّمة الحاضر نخرة ، سلّمة الماضى ذكرى ، سلّمة الآتى خطِرة ، فتوقف تزن الخطوة ، وتأمّل .)

الآن أذكر ، النظرة الطويلة الأخيرة التى منحها لى (راء) ... حينها ركضت خلفه أردد :

ـ ما معنى هذا ؟

ما معنى هذا ؟!

كانت نظِرة تأمل ، نظرة تمعن ، نظرة تخترق روحى وتجرى لها مِسحًا فتصنع منها نسخًا أخرى تحتفظ بها عندها ، نظرة تختزننى كلى بروحى وجسدى وعقلى وقلبى فى نظرة واحدة ، كانت نظرة وداع . ولو كنتُ أقل أنانية للحظة ، أو أكثر حبًا ، كنتُ عرفتُ وحدى ، ودون مساعدة من أحد ، ما كان يعنيه هذا .

تعرف اللحظة الأقسى أين ؟ حين يحتضر حبيبك ، فلا تستطيع أن توسده حضنك ، كى لا تمسك النار بك .

أستخرج الكاميرا ، أتأمل صورة الجندى (راء سبعمائة وبضعة آلاف) ، لم يكن من عالمنا ، وقد أحبنى كما لم يحب رجل من عالمنا .. آخذ الكاميرا بحضنى وأنام .

* * *

العدد القادم

حلقـة رعـب

Looloo
www.looloolibrary.com

روايات مصرية

فى كتاب الحب والرعب سطر ، يضمن تدفق الأدرينالين إلى دمك ، قبل أن يَسفك دمك !

الحب والرعب 8

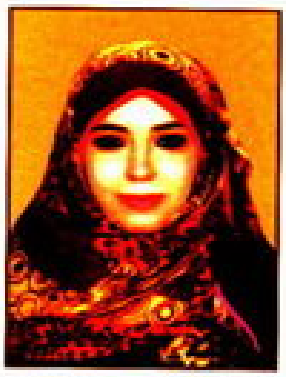

سالى عادل

5 / 12 / 015

- روح تبحث عن جسد + جسد نفذت روحه =

حتى وإن كانت مخالفة ، ولكنها صفقة عادلة .

- حبيبة بلا روح + حبيب بلا جسد =

حتى وإن كان حبًا مستحيلًا ، يكفيك شرف المحاولة .

Looloo

Digitally signed by Looloo
DN: cn=Looloo, o=www.looloolibrary.com, ou, email=looloo@looloolibrary.com, c=EG
Date: ٢٠١٦.٠٢.٢٤ ٢٠:٣٢:٠٣ +٠٢'٠٠'

www.rewayatmasreya.com

facebook.com/rewayatmasreya

الخط الساخن
19350

العربية الحديثة